

كاس موده | Cas Mudde*

ترجمة: محمد حمشي | Mohammed Hemchi**

روح العصر الشعبوية***

The Populist Zeitgeist

أدى صعود ما يُسمى "الأحزاب الشعبوية"، منذ ثمانينيات القرن العشرين، إلى ظهور الألوفا من الكتب والمقالات والأعمدة والافتتاحيات الصحفية. تهدف هذه الدراسة إلى تقديم مساهمة ثلاثية الأبعاد في النقاش المحتدم بشأن الشعبوية في الديمقراطيات الليبرالية: أولاً، تُقدّم الدراسة تعريفات جديدة وواضحة للشعبوية؛ وثانياً، ترفض الأطروحة القائلة إن الشعبوية ظاهرة "طبيعية - مرضية"، وتحتاج بدلاً من ذلك بأن الخطاب الشعبوي بات اليوم سائداً في سياسة الديمقراطيات الغربية. بل يمكن، في واقع الحال، الحديث عن روح العصر الشعبوية؛ وثالثاً، تحتاج الدراسة بأن تفسيرات روح العصر الشعبوية الحالية وردود الفعل تجاهها يشوبها العوار، وقد تُعززها بدلاً من تقويضها.

كلمات مفتاحية: الشعبوية، الديمقراطية الليبرالية، النخب، الشعب، الأحزاب، كاس موده.

Since the 1980s, the rise of so-called 'populist parties' has given rise to thousands of books, articles, columns and editorials. This article aims to make a threefold contribution to the current debate on populism in liberal democracies. First, a clear and new definition of populism is presented. Second, the normal-pathology thesis is rejected; instead it is argued that today populist discourse has become mainstream in the politics of western democracies. Indeed, one can even speak of a populist Zeitgeist. Third, it is argued that the explanations of and reactions to the current populist Zeitgeist are seriously flawed and might actually strengthen rather than weaken it.

Keywords: Populism, Liberal Democracy, Elites, The People, Parties, Cas Mudde.

* أستاذ كرسي ستانلي ويد شلتون للشؤون الدولية، جامعة جورجيا.

Stanley Wade Shelton UGAF Professor, University of Georgia.

** باحث، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

Researcher at the Arab Center for Research and Policy Studies.

*** هذه الدراسة ترجمة لـ: Cas Mudde, "The Populist Zeitgeist," *Government and Opposition*, vol. 39, no. 4 (2004), pp. 541-563.

تعريفًا واضحًا وجدديًا للشعبوية. ثانيًا، ترفض الدراسة أطروحة "المرض الطبيعي"؛ وتحتاج، بدلًا من ذلك، بأن الخطاب الشعبوي بات اليوم خطابًا سائدًا Mainstream في سياسة الديمقراطيات الغربية. بل يمكن الحديث، في هذا السياق، عن "روح شعبوية للعصر"⁽⁶⁾⁽⁷⁾. ثالثًا، تُبين أن التفسيرات المطروحة لظاهرة روح العصر الشعبوية الحالية، وكذلك ردود الفعل إزاءها، تعاني قصورًا جديًا، بل إنها قد تسهم فعليًا في تعزيزها بدلًا من إضعافها.

أولاً: تعريف ما لا يقبل التعريف

يريز في النقاش العمومي تأويلان مهيمان لمصطلح الشعبوية، وكلاهما مشحونٌ من الناحية الدلالية وذو حمولة سلبية لا تخفى على أحد. في التأويل الأول، تحيل الشعبوية إلى السياسة المبتذلة Stammtisch⁽⁸⁾، أي إلى خطاب شديد الانفعالية والتبسيط، موجّه لإثارة "المشاعر الغريزية" في الجمهور. ولو استعملنا تعبيرًا أكثر نثريةً، لقلنا إنَّ "الشعبيين يستهدفون قطع العُقد الغوردية"⁽⁹⁾ في السياسة الحديثة بسيف الحلول البسيطة

6 يرد هذا المصطلح في عنوان الدراسة الأصلية "The Populist Zeitgeist"، وقد ترجمناه "روح العصر الشعبوية". ومصطلح Zeitgeist ألماني الأصل، ويعني في الفلسفة وتاريخ الأفكار "روح العصر" أو المناخ الفكري الذي يطبع مرحلة تاريخية بعينها، لا مجرد موجة عابرة من الأفكار. إنها، أي روح العصر الشعبوية، منظومة خطابية أوسع من مجرد خطاب سياسي، تتغلغل مفرداتها وتنفث في خطاب الأحزاب السائدة ومؤسسات النظام القائم، تمامًا مثلما تفعل في خطاب الأحزاب والحركات التي تتحداها. وبناءً عليه، فإن الشعبوية، وفقًا لهذا المفهوم، تتكشف بوصفها سمةً مميزةً لحقبة تاريخية كاملة وليست ظاهرة عرضية فحسب. (المترجم)

7 أقصر في مناقشتي ههنا على السياسة الحزبية، وأشير إلى أهمية التنبيه أيضًا إلى تزايد حضور الحجج الشعبوية في وسائل الإعلام وكذلك في العلوم الاجتماعية. عن الشعبوية الإعلامية، ينظر:

Gianpietro Mazzoleni et al. (eds.), *The Media and Neo-Populism: A Contemporary Comparative Analysis* (Westport, VA: Praeger, 2003);

وعن الشعبوية في العلوم السياسية، ينظر:

Hans Daalder, "A Crisis of Party?" *Scandinavian Political Studies*, vol. 15, no. 4 (1992), pp. 269-288.

8 هي حرفيًا سياسة طاوولات الحانات (The Pub) The Politics of the Stammtisch، وتشير كلمة Stammtisch إلى الطاولة الثابتة في وسط حانة شعبية محلية يتحلق حولها أشخاص لتبادل آراء عامة وسطحية وتبسيطة وانفعالية (يمكن تصنيفها شعبوية). وهذا النوع من النقاشات السياسية نقض النقاشات السياسية المؤسسية الرصينة والبناءة. (المترجم)

9 العقدة الغوردية Gordian knot: مصطلح مستوحى من أسطورة عن عقدة شديدة الإحكام قطعها الإسكندر الأكبر بضربة واحدة من سيفه بدلًا من أن يتكد عناء حلها بيديه. يرتبط اسم العقدة الغوردية بمدينة غورديوم Gordium في مملكة فريجيا Phrygia وسط غرب الأناضول. ويشير المصطلح من الناحية الدلالية إلى المشكلات المعقدة التي تبدو غير قابلة للحل بطرائق عادية، في حين يمكن حلها بطرائق بسيطة وحاسمة، بصرف النظر عن عواقبها. (المترجم)

يبدو أن الشعبوية تزداد قوة وشدة كلما ازداد نقد المثقفين لها حدة⁽¹⁾.

مقدمة⁽²⁾

أدى صعود ما يسمّى "الأحزاب الشعبوية"، منذ ثمانينيات القرن العشرين، إلى صدور آلاف الكتب والمقالات والأعمدة والافتتاحيات الصحفية. وتتسم معظمها بنبرة تحذيرية؛ إذ يُنظر إلى هؤلاء "الشعبيين الجدد"، عمومًا، بوصفهم تهديدًا للديمقراطية الليبرالية. وعلى الرغم من أن المؤلفين ليسوا دائمًا على يقين مما يميّز هذه الأحزاب على وجه التحديد، فإنهم يتفقون على أن أحزابًا مثل حزب الحرية النمساوي Freedom Party of Austria-Freiheitliche Partei Österreichs، وحزب الجبهة الوطنية الفرنسي National Front-Front National⁽³⁾، وحزب قائمة بيم فورتاين الهولندية Pim Fortuyn List-Lijst Pim Fortuyn، هي أحزاب "شعبوية". وثمة مسألة أخرى يتفق عليها معظم المعلقين، وهي أن "الشعبوية تُفهم بوصفها شكلًا مرضيًا، وديمقراطيًا زائفًا، وما بعد ديمقراطي، ناتجًا من فساد المثل الديمقراطية"⁽⁴⁾. وعلى خطى نظرية إرفين ك. شوخ وهانس-ديتر كلينغمان، يرى باحثون ألمان، على وجه الخصوص، أن الشعبويين اليمينيين يمثلون "مرضًا طبيعيًا" في الديمقراطيات الغربية⁽⁵⁾.

تروم هذه الدراسة تقديم مساهمة من ثلاثة أوجه في النقاش بشأن الشعبوية في الديمقراطيات الليبرالية. أولاً، تُقدّم الدراسة

1 Pierre-André Taguieff, "Political Science Confronts Populism: From a Conceptual Mirage to a Real Problem," *Telos*, vol. 103 (1995), p. 43.

2 عُرضت نسخ سابقة من هذه الدراسة في كلية العلوم السياسية والاجتماعية في جامعة أنتويرب University of Antwerp، وفي قسم السياسة في جامعة ريدنغ University of Reading، وكذلك في ورشة العمل، "الشعبوية والديمقراطية" في جامعة نوتنغهام University of Nottingham. وأودُّ أن أشكر جميع المشاركين على تعليقاتهم القيمة. وأودُّ، أيضًا، التعبير عن امتناني لكل من هانس-غيورغ بيتز Hans-Georg Betz، وداني فيلك Dani Filc، وبيتر مير Peter Mair نظرًا لِملاحظاتهم المفيدة على النسخ السابقة. وأشكر خاصة يان ياغرز Jan Jagers، الذي كان لإسهامه الفكري دور حاسم في المراجعات النهائية. وأخيرًا، أعرب عن تقديري للدعم المالي السخي الذي قدّمته الأكاديمية البريطانية ومؤسسة كارنيغي لجامعات إسكتلندا.

3 أصبح اسمه، منذ عام 2018، التجمع الوطني National Rally - Rassemblement National. (المترجم)

4 Taguieff, p. 9.

5 Erwin K. Scheuch & Hans-Dieter Klingemann, "Theorie des Rechtsradikalismus in westlichen Industriegesellschaften," *Hamburger Jahrbuch für Wirtschafts und Sozialpolitik*, vol. 12 (1967), pp. 11-19;

وبينما استخدمنا هذا المصطلح للإشارة إلى الراديكالية اليمينية، عمد بعض الباحثين في الآونة الأخيرة إلى تطبيقه أيضًا على الشعبوية اليمينية. ينظر على نحو خاص:

Hans-Georg Betz, *Radical Right-Wing Populism in Western Europe* (Basingstoke: Macmillan, 1994).

تحديدًا؟ أهي أيديولوجيا أم متلازمة (أو عَرَض) أم حركة سياسية أم أسلوب سياسي؟⁽¹⁴⁾

أُعرِف الشعبوية بأنها أيديولوجيا ترى أن المجتمع منقسم، في جوهره، إلى مجموعتين متجانستين ومتعارضتين: "الشعب النقي"⁽¹⁵⁾ ضد "النخبة الفاسدة"، وتجادل بأن السياسة ينبغي أن تكون تعبيرًا عن الإرادة العامة للشعب *Volonté Générale*⁽¹⁶⁾. والشعبوية، بحسب هذا التعريف، لها نقيضان: النخبوية والتعددية. وتمثل النخبوية الصورة المعكوسة للشعبوية؛ إذ تشترك معها في رؤيتها المانوية Manichean⁽¹⁷⁾ للعالم، لكنها تريد أن تكون السياسة تعبيرًا عن آراء النخبة الأخلاقية، بدلًا من الشعب اللاأخلاقي⁽¹⁸⁾. أما التعددية، من جهة أخرى، فتفرض فكرة التجانس الذي تقوم عليه الشعبوية والنخبوية، وترى في المجتمع كتلة غير متجانسة من المجموعات والأفراد، الذين لديهم، في أحيان كثيرة، رؤى ورغبات متباينة كل التباين.

وعلى الرغم من أن الشعبوية تُعد أيديولوجيا متميزة من أيديولوجيات أخرى، فإنها لا تحوز "المستوى نفسه من التنظير والاتساق الفكريين" اللذين تحظى بهما الاشتراكية أو الليبرالية على سبيل المثال⁽¹⁹⁾. فالشعبوية ليست سوى "أيديولوجيا ضامرة"⁽²⁰⁾

المزعومة"⁽¹⁰⁾. وعلى الرغم من أن هذا التعريف يبدو بدهيًا في الوهلة الأولى، فإنه إشكالي جدًا عند محاولة وضعه موضع التوظيف في دراسات إمبريقية؛ إذ متى يُعدّ خطابٌ ما "انفعاليًا" بدلًا من أن يكون "عقلانيًا"، أو "تبسيطيًا" بدلًا من أن يكون "جادًا"؟ ثم إن سياسة الشعارات تشكّل في الأصل لبّ الحملات الانتخابية لدى مختلف التيارات، سواء من يمين الطيف السياسي أو يساره أو وسطه.

ويُستعمل مصطلح الشعبوية، في معناه الثاني، لوصف سياساتٍ انتهازيةٍ هدفها الإرضاء السريع للشعب/ الناخبين، ومن ثم "شراء" دعمهم، بدلًا من البحث (بعقلانية) عن "الخيار الأفضل". ومن أمثلة ذلك خفض الضرائب قبيل الانتخابات مباشرة، أو تقديم وعود بمزايا مالية لجميع المواطنين من دون أي تكلفة إضافية. لكن من يقرّر إذا ما كانت السياسات "رصينة" أو "نزيهة" أكثر من كونها شعبوية" أو "انتهازية"؟ وهذا ما لاحظته رالف دارندورف بصيرة نافذة حين قال: "شعبويةٌ أحدهم هي ديمقراطيةٌ الآخر، والعكس صحيح"⁽¹¹⁾.

على الرغم من أن هاتين الطريقتين في تأويل الشعبوية شائعتان على نطاق واسع، وتبدوان على قدر من الواجهة، فإنهما لا تُنفذان إلى جوهر ما يُعدّ شعبويةً في الأدبيات الأكاديمية عامةً. بل إن كلتا الظاهرتين يمكن التعبير عنهما على نحو أدق بمصطلحين آخرين، هما الديماغوجيا والانتهازية، على التوالي. ومع أن وضوح المفهوم والتوافق على التعريف لا يزالان بعيدَي المنال داخل الجماعة الأكاديمية، فإن معظم تعريفات الشعبوية تشترك، على الأقل، في مرجعيتين أساسيتين، هما: "النخبة" و"الشعب"⁽¹²⁾؛ أي إن الشعبوية، بعبارة أخرى، تخبرنا بشيء ما عن طبيعة العلاقة بين "النخبة" و"الشعب". وقد لخصّ جون ب. جوديس وروي تيكسيرا هذه العلاقة المفتاحية بوضوح وحزم في عبارة: "الشعب ضد الأقوياء"⁽¹³⁾. ومع ذلك، يظل السؤال مطروحًا: ما الشعبوية

14 عن التعريفات الثلاثة الأولى، ينظر إسهامات دونالد ماكراي Donald MacRae، وبيتر وايلز Peter Wiles، وكينيث مينوغ Kenneth Minogue على التوالي، في: Ghita Ionescu & Ernest Gellner (eds.), *Populism: Its Meanings and National Characteristics* (London: Weidenfeld; Nicolson, 1969);

وعن التعريف الثالث، ينظر مثلًا:

Pierre-André Taguieff, *L'illusion populiste* (Paris: Berg International, 2002); Armin Pfahl-Traugher, *Volks Stimme? Rechtspopulismus in Europa* (Bonn: Dietz, 1994).

15 نستخدم "الشعب الخَيْر" و"الشعب النقي" ترجمةً لـ The Pure People بحسب السياق. (المترجم)

16 هذا التعريف هو ثمرة نقاشات متواصلة ومثمرة مع يان ياغرز Jan Jagers. ينظر أيضًا أطروحته لنيل درجة الدكتوراه التي سبناقها قريبًا في جامعة أنتويرب، بعنوان: "De Stem van het Volk? Een Onderzoek naar Populistische Retoriek bij de Vlaamse Politieke Partijen."

17 تقوم المانوية Manichaeism على فكرة انقسام العالم إلى عالمين بينهما صراع دائم، عالم النور وعالم الظلام. (المترجم)

18 مع ذلك، ووفقًا للعديد من التفسيرات السلبية للشعبوية، "يبدو أن النخبوية هي المنطق الخفي للشعبوية". ينظر:

Nadia Urbinati, "Democracy and Populism," *Constellations*, vol. 5, no. 1 (1998), p. 113.

19 A. E. van Niekerk, *Populisme en Politieke Ontwikkeling in Latijns-Amerika* (Rotterdam: Universitaire Pers Rotterdam, 1972), p. 37.

20 يمكن تسميتها أيضًا أيديولوجيا ضامرة Thin وضعيفة ومحدودة، في مقابل الأيديولوجيا المكثفة أو الشديدة أو البارزة Thick، وتسمى الشعبوية أيديولوجيا ضامرة لأنها غير قادرة على تقديم برنامج سياسي متكامل يتضمن رؤية متماسكة للعالم Worldview كما تفعل الأيديولوجيات المكثفة، مثل الليبرالية أو الاشتراكية أو حتى الفاشية. ولذلك، فإن الشعبوية تحتاج إلى الارتباط بأيديولوجيات مخففة، مثل القومية، أو مكثفة مثل الشيوعية والفاشية، لتتحول من حالة الخطاب إلى برنامج سياسي يستقطب الناخبين. (المترجم)

10 Harald Bergsdorf, "Rhetorik des Populismus am Beispiel rechtsextremer und rechtspopulistischer Parteien wie der 'Republikaner', der FPÖ und des 'Front National,'" *Zeitschrift für Parlamentsfragen*, vol. 31, no. 3 (2000), p. 624.

11 Ralf Dahrendorf, "Acht Anmerkungen zum Populismus," *Transit: Europäische Revue*, vol. 25 (2003), p. 156.

12 ينظر مثلًا:

Werner W. Ernst, "Zu einer Theorie des Populismus," in: Anton Pelinka (ed.), *Populismus in Österreich* (Vienna: Junius, 1987), pp. 10–25; Margaret Canovan, *Populism* (London: Junction, 1981).

13 John B. Judis & Ruy Teixeira, *The Emerging Democratic Majority* (New York: Scribner, 2002).

الأحزاب وقواعدها، وهو اتجاه تطوّر أكثر فأكثر على امتداد العقود الماضية⁽²⁷⁾.

من المهم الإشارة إلى أن القول بسعة هذا التعريف، وقابلية استخدامه استخدامات متعددة، لا يعينان أن جميع الفاعلين السياسيين شعوبيون (في كل الأوقات)؛ إذ على الرغم من التحول نحو صورة الأحزاب اللاقطة Catch-all، فإن البرامج الأيديولوجية لدى معظم أحزاب التيار السائد Mainstream⁽²⁸⁾ لا تزال تبني الرؤية التعددية التي تقوم عليها الديمقراطية الليبرالية. بل إن كثيراً من "الشعبيين" المعاصرين، في صورتهم النموذجية، لا يستخدمون دائماً خطاباً شعبياً. وعلى سبيل المثال، كان حزب الكتلة الفلمنكية، الذي يدعي اليوم أنه يتحدث بما يفكر فيه الشعب، يشير في بداياته إلى الشعب بوصفه "البروليتاريا المثقفة"⁽²⁹⁾. ثم إن الراحل بيم فورتاين أقرّ علناً بأن أسلوب حياته وبعض آرائه كانت تقدمية أكثر مما ينبغي بالنسبة إلى أنصاره، أي "الشعب".

لقد كُتب الكثير عن غموض مصطلح "الشعب" في استخدامات الشعبيين. وذهب بعض المعلقين إلى الحاجة بأن هذا المصطلح ليس أكثر من أداة بلاغية لا تُحيل في الواقع إلى أي مجموعة قائمة حقاً من الناس. بينما قدّم آخرون تفسيراً طبقياً له، وحاجّوا بأن الشعبيين لا يقصدون جميع أفراد الشعب، بل شريحة طبقية بعينها⁽³⁰⁾. ويرفض بول تاغارت، وهو محقّق في هذا الشأن، هذا التفسير الطبقي، ويسعى إلى توضيح استخدام مصطلح "الشعب" عبر تقديم مفهوم بديل، هو "نواة الشعب" Heartland⁽³¹⁾. و"نواة الشعب"، وفقاً له، هي

27 عن هذا التطور، الذي يحدث في جميع الأحزاب السياسية تقريباً (سواء أكانت شعبية أم غير شعبية)، ينظر:

Klaus von Beyme, "Party Leadership and Change in Party Systems: Towards a Postmodern Party State?" *Government and Opposition*, vol. 31, no. 2 (1996), pp. 135-159.

28 المقصود بأحزاب التيار السائد، أو الأحزاب السائدة Mainstream Parties، الأحزاب التي تتعاقب تقليدياً على السلطة أو تشارك فيها، وتلتزم في عمومها بقواعد اللعبة الديمقراطية الليبرالية وبالإجماع المؤسسي القائم، ويُقابلها عادةً الأحزاب المتحدّية Challengers أو الأحزاب القادمة من خارج التيار السائد Outsiders، التي تشكك في النظام القائم وتعمل على إعادة تعريف قواعد المنافسة السياسية. (المترجم)

29 Cas Mudde, *The Ideology of the Extreme Right* (Manchester: Manchester University Press, 2000), p. 112.

30 Torcuato S. Di Tella, "Populism into the Twenty-First Century," *Government and Opposition*, vol. 32, no. 2 (1997), pp. 187-200; Peter Worsley, "Populism," in: Joel Krieger (ed.), *The Oxford Companion to Politics of the World* (Oxford: Oxford University Press, 1993), pp. 730-731; Ernesto Laclau, *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism-Fascism-Populism* (London: New Left Books, 1977).

31 نترجم مصطلح Heartland بكلمة "النواة"، وفي سياق دراسات الشعوبية "نواة الشعب". ويعود مفهوم "قلب الأرض" أو "قلب العالم" Heartland إلى عالم الجيوسياسة البريطاني، هالفورد ماكيندر، الذي سكّه في مطلع القرن العشرين للدلالة على المركز القاري

تُظهر "نواة محدودة ترتبط بنطاق أضيق من المفاهيم السياسية"⁽²¹⁾. والمفهوم المركزي في الشعوبية، بطبيعة الحال، هو "الشعب"؛ ومنه، بمعنى ما، يستمد مفهوم "النخبة" نفسه هويته (بوصفها، أي النخبة، نقيض الشعب وعدوّه اللدود). ويمكن أن تُربط الشعوبية، بوصفها أيديولوجيا ضامرة، بأيديولوجيات أخرى متباينة (سواء أكانت ضامرة أم مكتملة) بسهولة، بما في ذلك الشيوعية أو البيئية أو القومية أو الاشتراكية⁽²²⁾.

تُعَدُّ الشعوبية ذات طابع معياري أكثر من كونها برمجية⁽²³⁾. وجوهر خطاب الشعبي هو التمييز المعياري بين "النخبة" و"الشعب"، لا الاختلافات الإمبريقية في السلوك أو المواقف. وتقدّم الشعوبية رؤية مانوية للعالم، حيث لا وجود إلا لأصدقاء وأعداء. فالمعارضون ليسوا مجرد أشخاص لهم أولويات أو قيم مختلفة، بل هم أشرار! وبناءً على ذلك، تصبح التسويات مستحيلة، لأن التسوية "تُفسد" النقاء⁽²⁴⁾.

وخلالاً لتعريفات أخرى⁽²⁵⁾، لا تُعرّف الشعوبية، في هذا السياق، استناداً إلى نمط تنظيمي خاص، مثل القيادة الكاريزمية، ولا هي تُعرّف بوصفها أسلوباً تواصلياً خاصاً، أي تواصلًا مباشرًا من دون وسطاء. ومع أن الزعامة الكاريزمية والتواصل المباشر بين الزعيم⁽²⁶⁾ و"الشعب" سمتان شائعتان في الشعبيين، فإن هاتين السمتين تُيسران الشعوبية ولا تُعرّفانها. بل إن النجاح الراهن الذي يحققه الفاعلون الشعبيون لا يمكن فصله عن الاتجاه العام نحو تعزيز دور زعماء الأحزاب والتواصل المباشر بين قيادات

21 Michael Freedon, "Is Nationalism a Distinct Ideology?" *Political Studies*, vol. 46, no. 4 (1998), p. 750.

22 للمقارنة، ينظر:

Frank Decker, *Parteien unter Druck. Der neue Rechtspopulismus in den westlichen Demokratien* (Opladen: Westdeutscher, 2000); Paul Taggart, *Populism* (Buckingham: Open University Press, 2000); Taguieff, "Political Science Confronts Populism," pp. 9-43.

23 Peter Wiles, "A Syndrome, Not a Doctrine: Some Elementary Theses on Populism," in: Ionescu & Gellner, p. 167.

24 نلاحظ، على نحو لا يخلو من مفارقة، التشابه مع كثير من الخطاب المناهض للشعوبية اليمينية، الذي يعارض، بمفردات بيولوجية، أيّ تسوية أو تعاون، بدعوى أن "الفروس الشعبي" سيلوث "الجسد" الديمقراطي.

25 ينظر مثلاً:

Kurt Weyland, "Clarifying a Contested Concept: Populism in the Study of Latin American Politics," *Comparative Politics*, vol. 34, no. 1 (2001), pp. 1-22; Taggart; van Niekerk.

26 نغلب في سياق الشعوبية استخدام الزعامة/ الزعيم بدلاً من القيادة/ القائد؛ فالأولى مؤسسية ووظيفية ومرتبطة بالكفاءة وقابلة للتداول بسهولة نسبية، في حين أنّ الثانية، على الترتيب، شخصانية ورمزية ومرتبطة بالتمثيل ومن الصعب تداولها لأنها تتمحور حول شخصية الزعيم وحضوره. (المترجم)

الأحزاب السياسية من ناحية المبدأ؛ بل يعارضون الأحزاب الراسخة Established⁽³⁷⁾، ويدعون إلى نوع جديد من الأحزاب (أو يزعمون أنهم يمثلون نوعاً جديداً من الأحزاب)؛ أي إنهم يعبرون عن مشاعر شعبية مناهضة للأحزاب، لا عن نزعة متطرفة رافضة لها⁽³⁸⁾.

لتوضيح المفهوم أكثر فأكثر، دعونا نلقي نظرة خاطفة على بعض سوء الفهم الشائع بشأن الشعبوية. على الرغم من أن الشعبويين قد يكونون اعتناقيين Emancipatory في بعض السياقات، فإنهم لا يسعون إلى تغيير الشعب في حد ذاته، بل يسعون إلى تغيير مكانته ضمن النظام السياسي. فالشعبويون يتحدثون (أو يزعمون أنهم يتحدثون) باسم "الشعب المضطهد"، ويريدون تمكينه من الاعتناق عبر جعله واعياً باضطهاده. غير أنهم لا يسعون إلى تغيير قيمه أو أسلوب حياته. ويختلف ذلك جذرياً، على سبيل المثال، عن الاشتراكيين (المبكرين)، الذين كانوا يريدون "الارتقاء بالعمال" عبر إعادة تثقيفهم، ومن ثم تحريرهم من "وعيمهم الزائف". أما بالنسبة إلى الشعبويين، فإن وعي الشعب، الذي يُشار إليه عادةً بوصفه الحس السليم Common Sense، يُعد أساس كل خير (أو أساس كل سياسة صالحة).

لا تعارض الشعبوية الإجراءات التكنوقراطية بالضرورة، لا سيما إذا كانت هذه الإجراءات تساعد على التخلص من السياسيين (في المؤسسات الراسخة). فإحدى أنجح الحركات الشعبوية، وهي حركة "الائتمان الاجتماعي" في كندا، دافعت في واقع الحال عن نظام تكنوقراطي إلى حد بعيد؛ إذ ترى أن "استشارة الشعب بشأن الخطوط العامة للسياسات واجبة، بينما يتولى الخبراء وضع الآليات الكفيلة بتنفيذ تلك السياسات"⁽³⁹⁾. وما هو أساسي في هذا التصور هو أن الخبراء لا يغيرون رغبات الشعب، بل يقتصر دورهم على ضمان تنفيذها بأفضل صورة ممكنة. ويمكن العثور على هذه الثقة بـ "الخبراء"، وفي الوقت نفسه انعدام الثقة بالسياسيين، في أفكار شعبويين معاصرين، لا سيما سيلفيو برلسكوني Silvio Berlusconi وبيم فورتاين.

أخيراً، ثمة بعض الآراء الشائعة في الأدبيات تحتاج إلى تنقيح أكثر من الحاجة إلى ردها. أولاً، ذهب عدد من الباحثين إلى أن الشعبوية

مكان "في المخيال الشعبي، حيث تقيم مجموعة متحدة وفاضلة من السكان"⁽³²⁾.

يساعد مفهوم نواة الشعب على إبراز أن الشعب، في الدعاية الشعبوية، ليس كياناً واقعياً ولا جامعاً لكل أفراد All-inclusive. بل إنه في الحقيقة مجموعة فرعية من مجموع السكان يجري بناؤها من وحي أسطورة ما. إنَّ شعب الشعبويين - على غرار الأمة في خطاب القوميين - هو، بعبارة أخرى، "جماعة متخيَّلة"⁽³³⁾. ومع ذلك، فإن مفهوم نواة الشعب لا يتجاوز الإشكالية الرئيسة في فكرة "الشعب"، أي غموضها. فهو أيضاً غير محدد على نحو واضح؛ وبناءً على ذلك، فقد استُخدم بطرائق مختلفة من شعبي إلى آخر، بل بطرائق مختلفة حتى داخل البلد الواحد. وعلى سبيل المثال، كانت "نواة الشعب البريطاني" لدى المحافظين البريطانيين تُحيل إلى "إنكلترا الوسطى" Middle England⁽³⁴⁾، في حين يشير الحزب الوطني البريطاني British National Party، اليميني المتطرف، إلى "البريطانيين الأصليين" بوصفهم الشعب.

غالباً ما تكون الإجابة عن السؤال من/ ماذا يعارض الشعبويون؟ هي الإجابة الأوضح. ففي الأنظمة الديمقراطية الليبرالية، حيث تُعدُّ الأحزاب السياسية الفاعل الرئيس في عملية التمثيل، ليس من المستغرب أن تطلُع المشاعر المعادية للأحزاب بدور بارز في الدعاية الشعبوية⁽³⁵⁾. وبأسلوب يستوحي في كثير من الأحيان أفكاراً من جان جاك روسو، يجادل الشعبويون بأن الأحزاب السياسية تُفسد الصلة بين القادة والمؤيدين، وتُنشئ انفصامات مصطنعة داخل الشعب المتجانس، وتقدِّم مصالحها الخاصة على مصالح الشعب. غير أن الشعبويين، بالنظر إلى أنهم إصلاحيون أكثر من كونهم ثوريين⁽³⁶⁾، لا يعارضون

الحاسم في قلب أوراسيا؛ وهو المجال الجغرافي الذي تتكثف فيه مصادر القوة، ومن يسيطر عليه يسيطر على جزيرة العالم، أي بقيته. غير أن الاستعمال في أدبيات الشعبوية، خاصة عند بول تاغارت، ينقل الفكرة من الجغرافي/ المادي إلى الخطابي/ الرمزي؛ والمقصود بنواة الشعب الجماعة التي تُقدِّم بوصفها جوهر الشعب، المتجانس الأصل، الذي يدعي الخطاب الشعبوي تمثيله. (المترجم)

32 Taggart, p. 95.

33 عن "الجماعات المتخيَّلة"، ينظر:

Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origins and Spread of Nationalism* (London, Verso, 1983).

34 مصطلح سياسي وإعلامي بريطاني، لا ينطوي على معنى جغرافي، بل يشير إلى شريحة اجتماعية محافظة تنتمي في الغالب إلى الطبقة الوسطى، تتميز بأنها غير حضرية كلياً. ومن ثم، فهي متمايزة من نخبة العاصمة، وغالباً ما تكون حاسمة في الانتخابات. (المترجم)

35 للمقارنة، ينظر:

Susan Scarrow & Thomas Poguntke (eds.), *European Journal of Political Research*, vol. 29, no. 3, Special Issue on anti-Party Sentiments (1996).

36 للمقارنة، ينظر: Taggart. وادعاء بعض الشعبويين، أمثال زعيم رابطة الشمال Northern League أومبرتو بوسي Umberto Bossi، أنهم يسعون إلى "ثورة"، لا ينفي أنهم يطمحون، في أحسن الأحوال، إلى تغييرات جذرية داخل النظام الديمقراطي القائم.

37 هي الأحزاب الراسخة مؤسسياً داخل النظام السياسي، ولها تاريخ تنظيمي ممتد، فضلاً عن مشاركة مستقرة في البرلمان، كما أن لها شبكات نفوذ سواء في مؤسسات الدولة أو المجتمع. وتُعدُّ هذه الأحزاب، بالنسبة إلى الشعبويين، جزءاً من الإستبليشمنت، سواء أكانت في الحكم أم في المعارضة. (المترجم)

38 للاطلاع على مناقشة متعلقة بالمشاعر المعادية للأحزاب داخل الأحزاب الشعبوية الوطنية، والتمييز بين العداء الشعبي والعداء المتطرف للأحزاب، ينظر:

Cas Mudde, "The Paradox of the Anti-Party Party: Insights from the Extreme Right," *Party Politics*, vol. 2, no. 2 (1996), pp. 265-276.

39 Taggart, p. 68.

ثانيًا: الشعبوية المعاصرة

من الواضح أن ظاهرة الشعبوية ليست جديدة على السياسة في الديمقراطيات الليبرالية؛ فحزب الشعب الأمريكي في أواخر القرن التاسع عشر يُعدّ إحدى الحركات الشعبوية المؤسسة لظاهرة الشعبوية. وحتى في أوروبا ما بعد الحرب، كانت هناك ظواهر شعبية متعددة؛ من أبرزها جبهة الرجل العادي الإيطالية بزعامة غوغلينو جيانيني Italian Common Man's Front of Guglielmo Giannini (أواخر أربعينيات القرن العشرين)، والاتحاد من أجل الدفاع عن التجار والحرفيين في فرنسا French Union for the Defence of Merchants and Artisan (أواخر خمسينيات القرن العشرين)، وحزب المزارعين الهولندي Dutch Farmers Party بزعامة "بوير (المزارع) كوكوك" Boer (Farmer) Koekoek في ستينيات القرن العشرين، و"حزب التقدم" الدنماركي Danish Progress Party بزعامة مونغس غليستروب Mogens Glistrup في سبعينيات القرن العشرين.

وبينما يجري تصنيف جميع هذه الأحزاب، عمومًا، ضمن يمين الطيف السياسي، رغم أنها بعيدة كل البعد عن أن تكون متطابقة من الناحية الأيديولوجية، فإن النقد الشعبي، في الفترة الممتدة بين أواخر ستينيات القرن العشرين وبدايات ثمانينياته، صدر أساسًا عن اليسار (الجديد). وكان أبرز الفاعلين في هذا السياق الطلاب الراديكاليون في عام 1968، واليسار الجديد والحركات الاجتماعية الجديدة في السبعينيات، ثم أحزاب الخضر أو أحزاب السياسة الجديدة في أوائل الثمانينيات. وقد عبّر الخضر المبكرون، بأسلوب شعبي كلاسيكي، عن ازدهارهم السياسة و"النخبة السياسية". وقدّموا أنفسهم بوصفهم النقيض التام للأحزاب الراسخة من كل النواحي؛ الأيديولوجيا والتنظيم وأنماط المشاركة. كما قدموا أنفسهم، في الوقت نفسه، ممثلًا للشعب بوصفه كلاً واحدًا موحدًا، وغالبًا ما تبوّأ خطاب الدفاع عن الحسّ السليم وقيم "الشعب" القويمة⁽⁴⁵⁾.

وأما اليوم، فترتبط الشعبوية مرة أخرى باليمين (الراديكالي) أساسًا. فأبرز أمثلة الشعبويين المعاصرين في الأدبيات الأكاديمية والمقالات الإعلامية هي أحزاب اليمين الراديكالي، مثل حزب الحرية النمساوي بزعامة يورغ هايدر، والجبهة الوطنية الفرنسية

"سياسية، لكن على مضض"⁽⁴⁰⁾. وأعتقد أن هذه المقولة تتطلب مزيدًا من التقييد حتى تكون دقيقة تمامًا. فإذا نظرنا إلى بعض الفاعلين الشعبويين، مثل فيليب دوينتر (Filip Dewinter) (VB) أو يورغ هايدر (Jörg Haider) (FPÖ)، فإنه لا يمكن المحاجّة جدًّا بأنهم سياسيون اضطرارًا⁽⁴¹⁾، بل إنهم لا يزعمون أنهم كذلك بالضرورة. إنما نواة الشعب لدى القادة الشعبويين هي التي تكون سياسية اضطرارًا، أو على مضض (ينظر أدناه).

ثانيًا، يحتاج شطر كبير من الأدبيات بأن الشعبوية ظاهرة أزمت (اجتماعية). وفيما يتعلق بـ "الحركة الشعبوية" الحديثة، يُقال إن الأزمة المزعومة ناتجة من التحول نحو مجتمع ما بعد صناعي، وكذلك عن الطريقة غير الملائمة التي حاولت بها الديمقراطية الاجتماعية التعامل مع هذا التحول⁽⁴²⁾. ولعل مصطلح الأزمة مبالغ فيه، غير أن نواة الشعب الشعبوية لا تصبح نشطة إلا في ظروف خاصة؛ أبرزها التقاء ثلاثة عوامل، هي: استمرار مشاعر السخط السياسي، ووجود تهديد جدي (متصوّر) لـ "أسلوب حياتنا"، وظهور زعيم شعبي يحظى بالجادبية. ومع ذلك، فإن ما يميز نواة الشعب الشعبوية من مجموعات غيرها قابلة للتعبئة الاحتجاجية هو طبيعتها الاستجابية Reactiveness⁽⁴³⁾؛ إذ لا بد في الغالب من فاعل شعبي يعمل على تعبئتها، بدلًا من أن تأخذ هي نفسها بزمام المبادرة.

سأركّز في التحليل التالي أساسًا على روح العصر الشعبوية Populist Zeitgeist التي ميّزت الديمقراطيات الليبرالية منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين. وسأستقي أغلب الأمثلة من أحزاب سياسية في أوروبا الغربية، وأحيانًا من أستراليا ونيوزيلندا وأمريكا الشمالية⁽⁴⁴⁾.

40 Ibid., p. 3.

41 المقصود أن الشعبوي لا يقدم/ ينظر إلى نفسه بوصفه سياسيًا بطبيعته، بل إنه مدفوع إلى السياسة اضطرارًا، بسبب استشراء الفساد أو النخبة أو انحراف النظام عن خدمة الشعب؛ فهو يلتي شكلًا من أشكال نداء الواجب للتدخل. (المترجم)

42 René Cuperus, "The Populist Deficiency of European Social Democracy," *Internationale Politik und Gesellschaft*, vol. 3 (2003), pp. 83-109; Michael Ehrke, *Rechtspopulismus in Europa: die Meuterei der Besitzstandswahrer* (Bonn: FES Library, 2002).

43 بمعنى أن هذه المجموعات لا تبادر إلى الانخراط في السياسة من تلقاء نفسها، بل تفعل ذلك استجابةً لعامل خارجي عنها، مثل تأثير زعيم شعبي، أو قوة خطاب تعبوي، أو غيره. (المترجم)

44 لن تحظى أوروبا الشرقية، في المقابل، إلا بحضور محدود في هذه الدراسة. فعلى الرغم من انتشار أشكال مماثلة من الشعبوية في الجزء الشرقي من أوروبا أيضًا، فإن مناقشة جذورها والحلول المقترحة لها قد تُفضي إلى مزيد من الإرباك أكثر مما تُسهم في الإيضاح. وللاطلاع على مناقشة بشأن الشعبوية في أوروبا الشرقية، ينظر:

Cas Mudde, "In Name of the Peasantry, the Proletariat, and the People: Populisms in Eastern Europe," *East European Politics and Societies*, vol. 15, no. 1 (2001), pp. 33-53.

45 Paul Taggart, *The New Populism and the New Politics: New Protest Parties in Sweden in a Comparative Perspective* (Basingstoke: Macmillan, 1996), pp. 24-25; Patrick Hassenteufel, "Structures de représentation et 'appel au peuple', Le populisme en Autriche," *Politix*, vol. 14, no. 2 (1991), pp. 95-101.

الهولندي Dutch Socialist Party⁽⁵⁰⁾. وتجمع هذه الأحزاب الشعبوية اليسارية بين أيديولوجيا اشتراكية ديمقراطية وخطاب شعبي قوي، ولم تُعد تقدم نفسها بوصفها طلائع البروليتاريا، بل بوصفها صوت الشعب.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية، تضرب الشعبوية بجذورها عميقاً في صلب السياسة السائدة، منذ القرن التاسع عشر⁽⁵¹⁾. ورغم أنها ارتبطت تقليدياً بالحزب الديمقراطي وكانت صلتها به أوثق، فإن الجمهوريين عُرفوا أيضاً بتوظيفها. وخلال العقود الأخيرة، أشار عدد من المراقبين إلى أهمية الشعبوية في فوز مرشحي الرئاسة الأمريكية وهزيمتهم، من رونالد ريغان إلى بيل كلينتون، ومن جورج بوش الابن إلى آل غور⁽⁵²⁾. وإضافةً إلى ذلك، خاض عدد من مرشحي الأحزاب الثالثة حملات شعبية ناجحة، وقد كان من أبرزهم في السنوات الأخيرة روس بيرو Ross Perot، ورافل نادر Ralph Nader، وبات بوكانان Pat Buchanan.

ومع أن الشعبوية كانت أقل بروزاً في السياسة السائدة في أوروبا الغربية، فإن العقد الأخير أو نحوه شهد تحولاً ملحوظاً في ذلك؛ إذ لجأت عدة أحزاب معارضة من التبار الرئيس إلى تحدي الحكومات القائمة مستخدمةً حججاً شعبية مألوفة. فعلى سبيل المثال، وخلال الحملة الانتخابية للانتخابات البرلمانية في المملكة المتحدة عام 2001، وصف زعيم حزب المحافظين، وليام هيغ William Hague، قيادة حزب العمال الجديد New Labour بأنها "نخبة ليبرالية متعالية"، واستخدم مراراً مصطلح "متروبولية"⁽⁵³⁾، مجادلاً بأن نخبة حزب العمال الجديد في لندن كانت منفصلة تماماً عن مشاعر ومخاوف الشعب الإنكليزي في الأقاليم (أي "إنكلترا الوسطى"). ويشبه هذا التمييز الشعبي الكلاسيكي

50 Cas Mudde, "Extremist Movements," in: Paul Heywood et al. (eds.), *Developments in West European Politics 2* (Basingstoke: Palgrave, 2002), pp. 135-148;

ينظر أيضاً:

Amir Abedi, *Anti-Political Establishment Parties* (London: Routledge, 2004).

51 للمقارنة، ينظر:

Alan Ware, "The United States: Populism as Political Strategy," in: Yves Mény & Yves Surel (eds.), *Democracies and the Populist Challenge* (Basingstoke: Palgrave, 2002), pp. 101-119; John Gerring, *Party Ideologies in America, 1828-1996* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Michael Kazin, *The Populist Persuasion: An American History* (New York: Basic Books, 1995).

52 ينظر مثلاً:

Terri Bimes, "Ronald Reagan and the New Conservative Populism," Paper Presented at the Annual APSA Meeting, Boston, 29/8-1/9/2002; Judis & Teixeira, *The Emerging Democratic Majority*; Scott D. Wells et al., "Al Gore and Election 2000: Populist Discourse and Strategies," Paper Presented at the Annual APSA Meeting, Boston, 29/8-1/9/2002.

53 المقصود بالنخب الميتروبولية Metropolitan النخب الحضرية في العاصمة. (المترجم)

بزعامة جان-ماري لوبان Jean-Marie Le Pen's FN، أو حزب "أمة واحدة" بزعامة بولين هانسون Pauline Hanson's One Nation⁽⁴⁶⁾. وقد ازداد إدراج أحزاب يمينية غير راديكالية أيضاً ضمن فئة "شعبوية اليمين"، لا سيما حزب فورسا إيطاليا بزعامة سيلفيو برلسكوني Silvio Berlusconi's Forza Italia، أو قائمة بيم فورتاين⁽⁴⁷⁾. ولا يخلو هذا التصنيف كلياً من المنطق؛ بل إنه يستمد منطقته من تركيز اليمين على مفهوم الأمة، وتركيز اليمين الراديكالي على القومية. ومن السهل الانتقال من "الأمة" إلى "الشعب"، لكن التمييز بين المفهومين غالباً ما يكون أبعد ما يكون عن الوضوح⁽⁴⁸⁾.

غير أن الشعبوية يمكن العثور عليها أيضاً في اليسار (الراديكالي)⁽⁴⁹⁾. ومن أوسع شعبيّ اليسار شهرةً (أو من أسوأهم صيغاً) في أوروبا ما بعد الحرب رجل الأعمال الفرنسي السابق برنار تاي Bernard Tapie، الذي ارتبط مساره السياسي بفضائح كثيرة؛ سواء كان ذلك داخل الحزب الاشتراكي، الذي ينتمي إلى التيار السائد، أو في الحزب الراديكالي، القادم من خارج اللعبة السياسية. وتكون شعبوية اليسار، عموماً، أشد حضوراً لدى الأحزاب القادمة من خارج التيار السائد، مثل حزب الاشتراكية الديمقراطية (East) German Party of Democratic Socialism في ألمانيا (الشرقية سابقاً)، أو الحزب الاشتراكي الإسكتلندي Scottish Socialist Party، أو الحزب الاشتراكي

46 ينظر مثلاً:

Hans-Georg Betz & Stefan Immerfall (eds.), *The New Politics of the Right: Neo-Populist Parties and Movements in Established Democracies* (New York: St Martin's Press, 1998); Pfahl-Traugber.

47 للمقارنة، ينظر:

Reinhard Heinisch, "Success in Opposition - Failure in Government: Explaining the Performance of Right-Wing Populist Parties in Public Office," *West European Politics*, vol. 26, no. 3 (2003), pp. 91-130; Michael Jungwirth (ed.), *Haider, Le Pen & Co.: Europas Rechtspopulisten* (Graz: Styria, 2002); Decker.

48 عن الصلة بين القومية والشعبوية، ومفهوم "الشعبوية القومية"، ينظر:

Taguieff, "Political Science Confronts Populism," pp. 9-43; Angus Stewart, "The Social Roots," in: Ionescu & Gellner, pp. 183-185.

المقصود أن الخطاب القومي، الذي يركز على "الأمة"، يمكن أن يتحول بسهولة إلى خطاب شعبي يركز على "الشعب"، لأن كليهما قائم على تصوّر / تخيل جماعة متخيلة متجانسة. (المترجم)

49 يحاج سيمون كلارك، في الواقع، بأن الماركسية - اللينينية هي، في جوهرها، شعبية، في حين وصف إرنستو لاكلاو الاشتراكية بأنها "أرق أشكال الشعبوية". ينظر:

Simon Clarke, "Was Lenin a Marxist? The Populist Roots of Marxism-Leninism," in: Werner Bonefeld & Sergio Tischler (eds.), *What is to Be Done? Leninism, Anti-Leninist Marxism and the Question of Revolution Today* (Aldershot: Ashgate, 2002), pp. 44-75; Laclau, p. 196.

الغربية، ومع أن الأحزاب القادمة من خارج التيار السائد، أو الأحزاب التي تتحدها، في الغالب، لا تزال تستخدمها، فإنَّ سياسيّ التيار السائد، سواء في الحكومة أو في المعارضة، لجؤوا إليها أيضًا، في محاولة لمواجهة المنافسين الشعبيين. في أغلب الأحيان، بل إن بعض أبرز رؤساء الوزراء (أو نوابهم) من اليسار، مثل توني بلير أو ستيف ستيفارت، عبّروا عن بعض أنقى تجليات الشعبية المعاصرة. وهذا من شأنه أن يثير تساؤلات عن السبب الذي جعل الديمقراطيات الغربية تواجه روح العصر الشعبية هذه في الوقت الراهن.

ثالثًا: أسباب روح العصر الشعبية الحالية

للإجابة عن السؤال: لماذا يدعم اليوم عددٌ متزايدٌ من الناس الأفكار الشعبية والشعبيين؟ ثمة مسار أول يبدو بدهيًا إلى حدّ أنه كثيرًا ما يجري إهماله: "ينبغي أن لا نرفض سلفًا الاتهامات التي يصوغها الفاعلون المناهضون للإستبليشمنت"⁽⁵⁹⁾؛ فربما كانت حجج الشعبيين صحيحة، وهو ما قد يفسر سبب نجاحهم الواسع.

في البداية، هل تُعدُّ النخب اليوم أشد فسادًا مما كانت عليه قبل تسعينيات القرن العشرين؟ من الواضح أن هذا السؤال تصعب الإجابة عنه، لأن الفساد ليس مفهومًا خلافًا فحسب، بل هو، بحكم التعريف، نشاطٌ يجري في الظل ويصعب الحصول بشأنه على بيانات موثوقة وقابلة للمقارنة أيضًا. ووفقًا لمعظم الخبراء، فإنَّ "وجود فساد مرتبط بالأحزاب ليس أمرًا جديدًا في حدّ ذاته؛ وأما الجديد، فقد يكمن في زيادة احتمال أن يؤدي كشف أدلة الفساد إلى انكشاف فضيحة علنية"⁽⁶⁰⁾.

ثانيًا، أصبحَ أن "الشعب" و"النخبة" يقفان اليوم على مسافة بينهما هي أبعد مما كانت عليه في الماضي؟ يرى كلاوس فون بايمه أن "ثمة اتجاهات عديدة في الديمقراطيات الحديثة تعزز انفصال طبقةٍ سياسيةٍ عن قاعدتها، مثل التمويل العمومي"⁽⁶¹⁾ للأحزاب، واحتكار

59 Andreas Schedler, "Anti-Political-Establishment Parties," *Party Politics*, vol. 2, no. 3 (1996), p. 297.

60 Paul Heywood et al., "Political Corruption, Democracy, and Governance in Western Europe," in: Heywood et al., pp. 196-197;

وينظر أيضًا:

F. F. Ridley & Alan Doig (eds.), *Sleaze: Politicians, Private Interests & Public Reaction* (Oxford: Oxford University Press, 1995).

61 أي التمويل الحكومي. (المترجم)

بين النخبة الحضرية المتروبولية الفاسدة من جهة، والشعب الريفي النقي صاحب الأرض من جهة أخرى⁽⁵⁴⁾.

لا تقتصر الشعبية على اليمين ولا على أحزاب المعارضة؛ وهذا ما يمكن ملاحظته في بريطانيا، فضلًا عن أماكن أخرى. فكما جادل بيتر مير بكل ما أوتي من حجة، كان حزب "حزب العمال الجديد"، بقيادة توني بلير، بطلًا في عين الشعبية السائدة، سواء قبل تولّيه السلطة أو بعدها⁽⁵⁵⁾. بل إن ثمة مثالًا يدل على الاستخدام الواسع والمتنوع للشعبوية، يتجلى في الصراع بين حكومة حزب العمال وتحالف الريف Countryside Alliance؛ فكلاهما يستخدم خطابًا شعبيًا قويًا؛ إذ يحاجّ التحالف، على نحو مشابه لما ذهب إليه زعيم المحافظين السابق هيج، بأن حكومة العمال تمثل نخبة غريبة (أو مغتربة) تهدد أسلوب حياة الشعب الإنكليزي "الفعلي". وفي المقابل، يقدم حزب العمال نفسه بوصفه المدافع عن الشعب الإنكليزي "الحقيقي" في مواجهة امتيازات النخبة (الطبقة العليا).

ومن أبرز ممثلي شعبية الحكومات اليسارية ستيف ستيفارت Steve Stevaert، نائب رئيس وزراء فلاندرز السابق Flanders، والزعيم الحالي للحزب الاشتراكي الفلمنكي Flemish Socialist Party؛ فبسبب "سياسة المجان"⁽⁵⁶⁾ Gratis Politics، تعرّض ستيفارت لانتقادات من الزعيم القومي الفلمنكي، غيرت بورجوا Geert Bourgeois، الذي استشهد باحث قانوني أميركي دعمًا لموقفه، فردّ ستيفارت قائلاً: "أتفهم أن غيرت بورجوا يفضل دعم مواقفه بحجج دامغة لها سلطة، لكنني أفضل أن أستند إلى حكمة الشعب"⁽⁵⁷⁾. أما زميله في الحزب، فرانك فاندنبروك Frank Vandembroucke، الذي كان آنذاك وزيرًا للشؤون الاجتماعية والمعاشات، فقد دعا صراحةً إلى "شعبوية يسارية لها أسسها"⁽⁵⁸⁾.

خلاصة القول إن الشعبية باتت، على الأقل منذ أوائل تسعينيات القرن العشرين، سمّةً اعتيادية في السياسة في الديمقراطيات

54 ينظر مثلاً:

Miklós Lackó, "Populism in Hungary: Yesterday and Today," in: Joseph Held (ed.), *Populism in Eastern Europe. Racism, Nationalism, and Society* (Boulder, CO: East European Monographs, 1996), pp. 107-128.

55 Peter Mair, "Populist Democracy vs. Party Democracy," in: Mény & Surel, pp. 81-98; Peter Mair, "Partyless Democracy and the 'Paradox' of New Labour," *New Left Review*, vol. 2 (2000), pp. 21-35.

56 أسلوب سياسي شعبي يقوم على تقديم خدمات أو مزايا مجانية للجمهور إرضاءً له وكسبًا لتأييده. (المترجم)

57 *De Standaard*, 2/12/2002.

58 *De Morgen*, 21/5/2002;

وعلى منوال ذلك، يحاجّ رينيه كوبروس، الباحث الأول في المكتب العلمي لحزب العمال الهولندي، بأن "الديمقراطية الاجتماعية ينبغي أن تحظى بالجرأة على أن تكون أكثر 'شعبوية' بطريقة اليسار". ينظر: Cuperus, p. 108.

خضعت معظم وسائل الإعلام الغربية، تقليدياً، لرقابة وثيقة من قبل الأحزاب السياسية؛ بل إن الصحف كانت، في كثير من الأحيان، جزءاً من ثقافات الأحزاب الفرعية. وقد بدأ هذا الوضع في التغير جزئياً مع الإذاعة، ولا سيما التلفزيون، وإن كانت الأحزاب الراسخة، منذ البداية، قد احتفظت في العديد من البلدان بقبضة محكمة على البث الموجه للجمهور. ومنذ أواخر ستينيات القرن العشرين، اكتسبت معظم وسائل الإعلام استقلالاً متزايداً عن الأحزاب السياسية، وإن لم تكن كاملة. وفي الوقت نفسه، واجهت وسائل الإعلام العمومية (خاصة التلفزيون) تحديات فرضتها وسائل الإعلام الخاصة؛ ما أفضى إلى تنافس على القراء والمشاهدين، ومن ثم أدى ذلك إلى تركيز أكبر على جوانب السياسة الأشد تطرفاً وإثارة للفضائح (إذ لم يقتصر الأمر على صحافة الفضائح الشعبية Tabloid Media). لم يؤثر هذا التطور على تعزيز المشاعر المعادية للنخب داخل المجتمع فحسب، بل وقر أيضاً مسرّحاً مثاليّاً للفاعلين الشعبيين، الذين وجدوا جمهوراً يتقبلهم، فضلاً عن أنهم وجدوا وسيطاً إعلامياً شديد التقبل لأخبارهم وخطابهم⁽⁶⁸⁾. وكما لاحظ أحد المعلقين في إشارة إلى الحالة النمساوية: "كان هايدر في حاجة إلى الإعلام، وكان الإعلام في حاجة إليه"⁽⁶⁹⁾.

أحد الأسباب الأخرى التي جعلت الناس أكثر تقبلاً للشعبوية هو أنهم - وفي هذا مفارقة - أصبحوا أفضل تعليماً وأكثر اعتقاداً؛ وهو أمرٌ إيجابي⁽⁷⁰⁾. فنتيجةً للنزعة المساواتية Egalitarianism التي سادت في ستينيات القرن العشرين، باتت لدى المواطنين اليوم توقعات أكثر من السياسيين، وباتوا يشعرون بقدرة أكبر على الحكم على أفعالهم⁽⁷¹⁾.

الأنشطة السياسية، والتعاون بين الحكومة والمعارضة"⁽⁶²⁾. ويُعدُّ هذا الجانب الأخير تحديداً، أي عملية الكرتلة Cartelization⁽⁶³⁾ في النظم الحزبية الأوروبية، من أكثر الجوانب التي حظيت باهتمام واسع، لدى الأكاديميين أو لدى الشعبيين⁽⁶⁴⁾ أنفسهم.

صحيحٌ أيضاً أن "سياسيي جميع الأحزاب باتوا أشد تشابهاً من الناحية السوسيولوجية (ينتمون إلى الطبقة الوسطى) ومن الناحية السياسية (يتسمون بالاعتدال)"⁽⁶⁵⁾. وفي الوقت نفسه، يمكن قول ذلك بشأن الناخبين أيضاً، وإن بدرجة أدنى قليلاً. وهكذا، مع الإقرار باستمرار بعض الانحيازات الاجتماعية في النخب التشريعية، من غير المرجح، كما يبدو، أن تكون "المسافة الاجتماعية" بين غالبية النخب وغالبية المواطنين قد اتسعت على نحو ملحوظ خلال العقود الماضية⁽⁶⁶⁾. وخلاصة القول؛ رغم أن ادعاءات الشعبيين لا تخلو من قدر من الحقيقة، فإن التصورات Perceptions تبدو أهم من الحقائق Facts.

لا شك في أن هذا التحول في التصورات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتغير دور وسائل الإعلام في الديمقراطيات الغربية. فحتى إذا اقتصرنا على النظر في فترة ما بعد الحرب، فإننا نلاحظ تغيرات لافتة في أهمية الإعلام ودوره ونطاقه. باختصار، الأهم من الزيادة الفعلية في الانحطاط الأخلاقي والفساد في السياسة هو الطريقة المختلفة التي تجري بها تغطية الحياة السياسية في وسائل الإعلام (أي التركيز في الأخبار على ما هو سلبي ومثير). وثمة سببان رئيسان لهذا التغير في الطريقة التي تُقدّم بها السياسة في (الكثير من) وسائل الإعلام اليوم؛ هما الاستقلالية Independence، والتسليح Commercialization⁽⁶⁷⁾.

and the Public Good (New York: Oxford University Press, 1997); Holli A. Semetko, "The Media," in: LeDuc et al. (eds.), pp. 254-279.

68 عن العلاقة بين وسائل الإعلام والشعبوية، ينظر خاصة: Mazzoleni et al. (eds.) وعن الدور الخاص الذي تؤديه وسائل الإعلام الجديدة، ينظر:

Barrie Axford & Richard Huggins, "Anti-Politics or the Triumph of Postmodern Populism in Promotional Cultures," *Telematics and Informatics*, vol. 15, no. 3 (1998), pp. 181-202.

69 Charles E. Ritterband, "Kärntner Chamäleon. Jörg Haiders Aufund Abstieg in Österreich," *Internationale Politik*, vol. 4 (2003), p. 28;

وقد تحققت حالة من التآزر الكامل بين الشعبوية ووسائل الإعلام في إيطاليا. ينظر: Paul Statham, "Berlusconi, the Media, and the New Right in Italy," *Press/Politics*, vol. 1, no. 1 (1996), pp. 87-105.

70 على حدّ تعبير كلاوس فون بايمه، "قلص تعميم التعليم المسافة بين النخبة السياسية ومتوسط الخبرة التعليمية لدى الناخب." ينظر: von Beyme, "Party Leadership and Change in Party Systems," p. 146.

71 ينظر على سبيل المثال:

Susan J. Pharr & Robert D. Putnam (eds.), *Disaffected Democracies. What's Troubling the Trilateral Democracies* (Princeton: Princeton University Press, 2000); Pippa Norris (ed.), *Critical Citizens. Global Support for Democratic Governance* (Oxford: University Press, 1999).

62 Klaus von Beyme, "The Concept of Political Class: A New Dimension of Research on Elites?" *West European Politics*, vol. 19, no. 1 (1996), p. 84.

63 المقصود بالكرتلة في دراسات الأحزاب السياسية تحول الأحزاب إلى كارتلات تقضي على أي منافسة حزبية حقيقية، فتعتمد على تمويل الدولة بدلاً من الاعتماد على قواعدها الاجتماعية، وتتقاسم الموارد والمناصب، فتتحول بذلك، وعلى نمواً الكارتلات الاقتصادية، إلى طبقة سياسية مغلقة تحتكر "سوق السياسة". (المترجم)

64 للاطلاع على الأطروحة الأصلية، ينظر:

Richard S. Katz & Peter Mair, "Changing Models of Party Organization and Party Democracy: The Emergence of the Cartel Party," *Party Politics*, vol. 1, no. 1 (1995), pp. 5-28;

وللاطلاع على لمحة عن النقاش، ينظر:

Ludger Helms, "Die 'Kartellparteien'-These und ihre Kritiker," *Politische Vierteljahresschrift*, vol. 42, no. 4 (2001), pp. 698-708.

65 Richard S. Katz, "Party Organizations and Finance," in: Lawrence LeDuc et al. (eds.), *Comparing Democracies: Elections and Voting in Global Perspective* (Thousand Oaks: Sage, 1996), p. 132.

66 للمقارنة، ينظر:

Pippa Norris, "Legislative Recruitment," in: LeDuc et al. (eds.), pp. 184-215.

67 ينظر على سبيل المثال:

Joseph N. Cappella & Kathleen Hall Jamieson, *Spiral of Cynicism. The Press*

العمومي⁽⁷⁸⁾، إلى جانب دورها في كسر المحظورات، القدر الأكبر من التقبل لدى الجمهور.

أخيراً، ثمة مجموعة من التحولات الأوسع التي غيرت المجتمعات والسياسة في الديمقراطيات الغربية، وفي غيرها أحياناً، وكان لها أيضاً أثرٌ في مصير الشعبوية. ونظراً إلى أن هذه التحولات موثقة، فسأكتفي بإشارة موجزة إلى صلتها بالشعبوية. أولاً، أدى التحول إلى مجتمع ما بعد صناعي إلى فك الارتباط بين كثير من الناخبين وولاءاتهم الحزبية التقليدية واغترابهم عنها، وزاد من أهمية الانقسامات الاجتماعية، ومن ثم أوجد مجالاً لأحزاب جديدة أقل أيديولوجية⁽⁷⁹⁾. ثانياً، غيرت نهاية الحرب الباردة العلاقات السياسية داخل الديمقراطيات الليبرالية وفيما بينها. والأهم من ذلك أن الديمقراطية فقدت عدوَّها اللدود الذي كانت تُقارن به دائماً بطريقة تُظهر تفوقها؛ وأصبحت "الديمقراطيات القائمة فعلياً" تُقارن على نحو متزايد بالنماذج النظرية المثالية، وعلى نحو يفقدها أي ميزة نسبية. ثالثاً، أصبحت العولمة، سواء في صورتها الواقعية أو المتصورة، تُقدّم بوصفها قيدياً شديداً على قدرة النخب الوطنية⁽⁸⁰⁾. وإضافةً إلى ذلك، يميل السياسيون في التيار السائد إلى تفسير التطورات الاقتصادية السلبية بوصفها نتائج حتمية للعولمة من ناحية، في حين ينسبون الأوضاع الاقتصادية الإيجابية إلى سياساتهم الاقتصادية من ناحية أخرى. وهم بذلك إنما يقوِّضون حجتهم الرئيسية في مواجهة التحدي الشعبي، أي إن "أولوية السياسة" غير واقعية⁽⁸¹⁾.

لقد أسهمت جملةً من هذه العوامل مجتمعةً، لا سيما تغرُّر دور وسائل الإعلام وانعتاق المواطنين، في نزع الهالة عن "المنصب

وقد أدت هذه "التعبئة الإدراكية"⁽⁷²⁾ إلى جعل المواطنين يكفون عن قبول أن تفكر النخب نيابةً عنهم، وجعلهم لا ينصاعون انصياعاً أعمى لما تمليه عليهم النخب.

يفسر ذلك أيضاً استفادة الشعبويين المعاصرين إلى هذا الحد من دورهم حين ينتهكون المحظورات Taboo Breakers ويناهضون النزعة للتمسك بـ "الصواب السياسي" Political Correctness⁽⁷³⁾. فالصواب والمحظور السياسيان ليسا ظاهرتين جديدتين في الديمقراطيات الليبرالية، وإن أمكن القول إنهما طُبِّقا بصرامة أكبر في السنوات الأخيرة (لا سيما فيما يتعلق بـ "العنصرية"). غير أنهما، بسبب انعتاق المواطنين، أصبحتا قضيتين خلافيتين ومحلَّ جدل واسع.

لقد أشار باحثون، على مدى عقود، إلى تطورٍ نحو سياسة لاسياسية أو لاأيديولوجية⁽⁷⁴⁾ Apolitical or non-Ideological Politics في الديمقراطيات الغربية⁽⁷⁵⁾. وقد كان هذا التطور أشد وضوحاً في الديمقراطيات التوافقية السابقة (مثل النمسا وبلجيكا وسويسرا)، التي أفرزت بعضاً من أشد الحركات الشعبوية تحدياً للتيار السائد. فمع تراجع نظام الأعمدة في هذه البلدان⁽⁷⁶⁾ إلى حد بعيد منذ أواخر ستينيات القرن العشرين، تحوّلت إلى "ديمقراطيات منزوعة السياسة" Depoliticized Democracies⁽⁷⁷⁾؛ حيث حلَّت الإدارة محلَّ السياسة (بمصطلحاتنا المعاصرة، حلَّت الحوكمة محلَّ الحكومة). ومن الطبيعي أن تلقى الدعوة الشعبوية إلى "إعادة تسييس الفضاء

72 Russell J. Dalton, *Citizen Politics: Public Opinion and Political Parties in Advanced Industrial Democracies* (Chatham: Chatham House, 1996).

73 للمقارنة، ينظر:

Hajo Funke & Lars Rensmann, "Wir sind so frei. Zum rechtspopulistischen Kurswechsel der FDP," *Blätter für deutsche und internationale Politik*, vol. 7 (2002), pp. 822-828; Kees van Kersbergen, "Is Nederland een democratie?" *De Helling*, vol. 15, no. 3 (2002), pp. 23-25.

74 المقصود هو تحوُّل السياسة من صراع بين رؤى متنافسة بين أطراف المجتمع السياسية إلى مجرد إدارة تقنية لمشكلاته. وههنا، تتدخل الشعبوية لتزعم أن السياسة قد جرى إفراغها من معناها، ويجب إعادة تسييسها. (المترجم)

75 ينظر مثلاً:

John Clayton Thomas, "Ideological Trends in Western Political Parties," in: Peter H. Merkl (ed.), *Western European Party Systems* (New York: Free Press, 1980), pp. 348-366; Mostefa Rejai (ed.), *Decline of Ideology?* (Chicago: Aldine; Atherton, 1971).

76 المقصود أن الديمقراطيات التوافقية Consociational، في هذه الحالة، كانت تقليدياً مبنية على "أعمدة" اجتماعية - سياسية متميزة (كاثوليكي/ بروتستانت، اشتراكي/ ليبرالي، وغير ذلك) ولكل عمود أحزابه وإعلامه وجمعياته ونقاباته، وهكذا. (المترجم)

77 Arend Lijphart, *The Politics of Accommodation: Pluralism and Democracy in the Netherlands* (Berkeley: University of California Press, 1968).

78 Lothar Probst, "Die Erzeugung 'vorwärtsgerichteter Unruhe', Überlegungen zum Charisma von Jörg Haider," *Vorgänge*, vol. 41, no. 4 (2002), p. 39.

79 ينظر على سبيل المثال:

Herbert Kitschelt (in collaboration with Anthony McGann), *The Radical Right in Western Europe. A Comparative Analysis* (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1995); Russell J. Dalton et al. (eds.), *Electoral Change in Advanced Industrial Democracies* (Princeton: Princeton University Press, 1994).

80 ينظر على سبيل المثال:

Mark Blyth, "Globalization and the Limits of Democratic Choice. Social Democracy and the Rise of Political Cartelization," *Internationale Politik und Gesellschaft*, vol. 3 (2003), pp. 60-82; Philippe C. Schmitter, "The Future of Democracy: Could It Be a Matter of Scale?" *Social Research*, vol. 66, no. 3 (1999), pp. 933-958.

81 بمعنى أولوية القرار السياسي على القيود الموضوعية، سواء أكانت تشريعية اقتصادية أم خارجية. يزعم الشعبويون أن الإرادة السياسية كافية لحل المشكلات مختلف أنواعها، في حين تحتاج النخب بأهمية القيود التي تحد من قدرة السياسة على أن تحل كل المشكلات باليساسة التي يتصورها/ يصورها الشعبويون. (المترجم)

التداولية، والديمقراطية الرقمية، والديمقراطية الإلكترونية⁽⁸⁵⁾. وعلى المستوى السياسي، يُعدّ تصريح رومانو برودي، رئيس المفوضية الأوروبية آنذاك، مثالاً دالاً على ذلك؛ إذ يقول: "يريد الناس ديمقراطية أكثر تشاركية، ديمقراطية مباشرة. إنهم [يريدون أن يكونوا] منخرطين كل الانخراط في تحديد الأهداف، وصنع السياسات، وتقييم التقدم. وهم على حق في ذلك"⁽⁸⁶⁾.

لقد أشار فيليب شميتز، في مؤتمر عُقد في باريس، في 11 تشرين الأول/أكتوبر 2002، بخصوص خيبة أمل الديمقراطية، إلى حالة الفصام لدى نخب الأحزاب الراسخة، التي تحاول إغلاق النظام السياسي وفتحها في آن واحد. فللمرء أن يرى مزيجاً من الكثرة، أي إغلاق النظام الحزبي عبر دمج الأحزاب التي تتحدى النخب السائدة، والدمقرطة، مثل فتح النظام السياسي من خلال إقحام عناصر من الديمقراطية المباشرة (مثل الاستفتاءات) أو الحوكمة الإلكترونية.

ومع ذلك، فإن "الديمقراطية التداولية" أو "ثورة المشاركة" مثلثتا إجابة للمطالب الشعبوية القادمة من اليسار الجديد، والحركات الاجتماعية الجديدة، وأحزاب الخضر و"السياسة الجديدة". لكن ثمة فرق جوهري بين هؤلاء الشعبويين وروح العصر الشعبوية الحالية. ويمكن بيان ذلك على أفضل وجه من خلال مفهوم نواة الشعب، أي تأويل الشعب الذي يحيل إليه الشعبويون في خطابهم؛ فشعبوية اليسار الجديد كانت تشير إلى شعب نشط، واثق بنفسه، متعلم تعليماً جيداً، وتقدمي. وأما الشعبوية الحالية، على النقيض الحادّ لذلك، فهي تمزّد "الأغلبية الصامتة". إن نواة الشعب لدى شعبويين، من أمثال برلسكوني أو هايدر، تتمثل في المواطن الكادّ في عمله، المحافظ نسبياً، الملتزم بالقانون، الذي يرى، في صمت وفي الآن نفسه بسخط يتأجج يوماً بعد يوم، أن عامله يجري تشويبه على أيدي التقدميين والمجرمين والغرباء.

خلاصة القول إن الثورة الشعبوية المعاصرة تُعدّ، من أوجه عديدة، نقيضاً لثورات عام 1968 وما تلاها. فبينما طالب شعبويو "الثورة

السياسي". فاتجه عدد متزايد من المواطنين إلى الاعتقاد أنهم يحوزون فهماً جيداً لما يفعله السياسيون، بل اعتقدوا أنهم قادرون على فعل ما يفعله السياسيون على نحو أفضل. لا يعني ذلك بالضرورة أنّ كُثراً يرغبون فعلاً في فعل ما يفعله السياسيون على نحو أفضل، عبر المشاركة النشطة في مختلف جوانب الحياة السياسية (ينظر أدناه)، بل يعني أن العلاقة بين النخب والمواطنين قد تغيرت تغييراً ملحوظاً خلال العقود الماضية، وربما كان ذلك بطريقة لا يمكن التراجع عنها.

يميز ماكس فيبر، في سياق ما عُرف عنه، بين ثلاثة أمهات من السلطة: التقليدية والقانونية والكاريزمية⁽⁸²⁾. وقد تجاوزت الديمقراطيات الليبرالية النمط التقليدي، باستثناء الموناركيات الدستورية، وباتت السلطة الفعلية، أي القانونية، قائمة على الكفاءة، بل إن السياسيين، في واقع الحال، لا سيما الوزراء، كانوا يحظون بتقدير عالٍ في الديمقراطيات الغربية، استناداً إلى ما كان يُفترض فيهم من كفاءة.

لقد أدّى اعتناق المواطنين، فضلاً عن العوامل الأخرى التي أشرنا إليها سابقاً، إلى تقويض كفاءة النخب، أو على الأقل تقويض تصورات المواطنين عنها⁽⁸³⁾؛ ومن ثم تقويض سلطتها (القانونية) أيضاً. ونتيجة لذلك، اتسع المجال أكثر فأكثر للنمط الثالث من السلطة، أي الكاريزما. ومع أن القيادة الكاريزمية ليست هي نفسها الزعامة الشعبوية، فإنّ بينهما أوجه شبه مهمة، وليس من المستغرب أن يكون الشعبويون من أبرز المستفيدين من هذا التحوّل نحو السلطة الكاريزمية (ينظر أيضاً أدناه)⁽⁸⁴⁾.

رابعاً: الاستجابات للتحدي الشعبوي

تركز قدر كبير من الاستجابات الأكاديمية والسياسية للتحديات الشعبوية في الدعوة إلى "المزيد" من الديمقراطية أو إلى "ديمقراطية حقيقية". ويكفي النظر إلى الأدبيات الآخذة في النمو التي تتناول أمهاتاً متعددة من الديمقراطية، تتفاوت في قدمها وحدائتها؛ مثل الديمقراطية

82 Max Weber, *Politik als Beruf*, 8th ed. (Berlin: Duncker & Humblot, 1987).

83 عن أهمية الخبرة Expertise والعلاقة المتغيرة بين النخب والمواطنين في هذا الخصوص، ينظر:

Cuperus, pp. 83–109; Milo Anstadt, "Vrijheid der onvolwassenen," *De Groene Amsterdammer*, vol. 126, no. 49 (2002), pp. 30–33.

84 عن الشعبوية اليمينية والزعامة الكاريزمية، ينظر: Roger Eatwell, "The Rebirth of Right-Wing Charisma? The Cases of Jean-Marie Le Pen and Vladimir Zhirinovskiy," *Totalitarian Movements and Political Religions*, vol. 3, no. 3 (2002), pp. 1–23; Ami Pedahzur & Avraham Brichta, "The Institutionalization of Extreme Right-Wing Charismatic Parties," *Party Politics*, vol. 8, no. 1 (2002), pp. 31–49.

85 ينظر، من بين أعمال أخرى:

Barry N. Hague & Brian D. Loader (eds.), *Digital Democracy: Discourse and Decision Making in the Information Age* (London: Routledge, 1999); Jon Elster, *Deliberative Democracy* (Cambridge: Cambridge University Press, 1998); Ian Budge, *The New Challenge of Direct Democracy* (Cambridge: Polity, 1996).

86 Romano Prodi, "Shaping the New Europe," Speech to the European Parliament, Strasbourg, 15/2/2000, at: <http://www.ecnais.org/html/pages/Bulletin/Prodi.htm>

خلافاً لما هو شائع من تصورات خاطئة، لا يُظهر ناخبو الأحزاب الشعبوية ميلاً قوياً إلى أي شكل من أشكال الديمقراطية التشاركية، سواء أكانت تداولية Deliberative أم استفتاءية Plebiscitary، بل إن إحدى الدراسات الإمبريقية النادرة التي بحثت في التصورات الديمقراطية لدى أنصار الأحزاب الشعبوية خلصت إلى أن "أنصار الأحزاب الشعبوية [...] لا يدعمون بطريقة ممنهجة توسيع العمليات الديمقراطية"⁽⁹⁰⁾. ويمكن القول، في واقع الحال، إن الشعبويين (قادةً وأنصاراً) يؤيدون الاستفتاءات، أساساً، بوصفها أداة للتغلب على سلطة "الخبية". فهم يرون فيها الإمكانية الوحيدة المتبقية التي من شأنها أن تعكس فيها سياسات الحكومة إرادة "الشعب".

غير أن "تحوّل الديمقراطية نحو الاستفتاءات"⁽⁹¹⁾ اليوم لا يكون مصيره الإخفاق في معالجة الأزمة المتصوّرة في الديمقراطية، الكامنة في التحدي الشعبوي، فحسب؛ بل قد يُسهم فعلياً في تعزيز هذا التحدي؛ إذ يؤدي استخدام خطاب ديمقراطي شعبي مماثل لتبرير هذه التغيرات إلى إضفاء شرعية على انتقادات الفاعلين الشعبويين⁽⁹²⁾. والأهم من ذلك أن هذه الإجراءات ترفع سقف توقعات نواة الشعب الشعبوية. وحين لا تجد هذه التوقعات من يلبسها، كما حدث في معظم الحالات⁽⁹³⁾، يشتد الاحتجاج الشعبوي أكثر فأكثر. ونتيجة لذلك، سيفضّل الناخبون الساخطون الأصل على النسخة، كما قال لوبان في عبارته الشهيرة، ما دامت النسخة قد أثبتت فعلاً أنها غير جديرة بالثقة.

90 Shaun Bowler et al., "Populist Parties and Support for Direct Democracy," Paper Presented at the Australasian Political Studies Association Conference, Hobart, Tasmania, 29/9-1/10/2003, p. 36.

91 Frank Decker in "Konjunkturen des Populismus, 'Blätter'-Gespräch mit Frank Decker," *Blätter für deutsche und internationale Politik*, vol. 10 (2002), p. 1185.

92 للمقارنة، ينظر:

Yves Mény & Yves Surel, "The Constitutive Ambiguity of Populism," in: Mény & Surel, pp. 1-21; Margaret Canovan, "Taking Politics to the People: Populism as the Ideology of Democracy," in: Mény & Surel, pp. 25-44; Darin David Barney & David Laylock, "Right-Populists and Plebiscitary Politics in Canada," *Party Politics*, vol. 5, no. 3 (1999), pp. 317-339.

93 عن النتائج المتناقضة المترتبة عن ديمقراطية آليات اختيار المرشحين داخل الأحزاب السياسية على سبيل المثال، ينظر:

Paul Pennings & Reuven Y. Hazan (eds.), *Party Politics*, vol. 7, no. 3, Special Issue (2001);

وعن العلاقة الإشكالية بين الديمقراطية الحزبية والديمقراطية المباشرة، ينظر: Suzan E. Scarrow, "Democracy within - and without - Parties: Introduction," *Party Politics*, vol. 5, no. 3 (1999), pp. 275-282; Suzan E. Scarrow, "Parties and the Expansion of Direct Democracy: Who Benefits?" *Party Politics*, vol. 5, no. 3 (1999), pp. 341-362; Patrick Seyd, "New Parties /New Politics? A Case Study of the British Labour Party," *Party Politics*, vol. 5, no. 3 (1999), pp. 383-405.

الصامتة" بمشاركة أكثر وقيادة أقل، طالب شعبويو "الثورة المضادة الصامتة" بزعامة أكثر ومشاركة أقل⁽⁸⁷⁾. وكما حاج روبرت دال:

"[...] إنه لمن الخطأ الشائع جداً أن ننظر ببساطة إلى الديمقراطية بوصفها مسألة مشاركة سياسية، وأن نفترض أنه إذا قال بعض الناس في البلدان الديمقراطية إنهم يثمنون الديمقراطية، فلا بد أن يكمن سبب ذلك في ما ينالونه من متعة أو رضاً من المشاركة فعلياً في الحياة السياسية. وإذا تبين أنهم لا يستمتعون خاصة بالمشاركة في الحياة السياسية، ولا ينخرطون فيها كثيراً، فقد يبدو أن هذا يعني كونهم لا يبالون كثيراً بالديمقراطية"⁽⁸⁸⁾.

إن نواة الشعب لدى الشعبويين المعاصرين تؤيد الديمقراطية، لكنها لا ترغب في الانشغال بالسياسة على الدوام. بل إن "ما يقرب من نصف قرن من الدراسات المسحية تقدّم دليلاً قاطعاً على أن المواطنين لا يرون في مشاركتهم بأنفسهم فعلياً في الحياة السياسية قيمة كبيرة"⁽⁸⁹⁾. صحيح أنهم يريدون أن يجري الاستماع إليهم ممّا يتعلق الأمر بالقرارات المصرية، لكنهم - في المقام الأول - يريدون زعامة. إنهم يريدون سياسيين يعرفون الشعب (أكثر مما يرغبون في سياسيين يكتفون بـ "الاستماع إليه")، ويحققون رغباته.

بناءً على ذلك، تركز نواة الشعب لدى الشعبوية المعاصرة أساساً على مخرجات الديمقراطية لا على مدخلاتها. فما يطالب به الشعبويون المعاصرون هو حكومة قائمة على الاستجابة، أي حكومة تتفدّ سياسات تتوافق مع رغبات الناس. غير أنهم يريدون من السياسيين أن يصنعوا هذه السياسات من دون إزعاجهم، أي من دون قدر كبير من المشاركة منهم.

87 ينظر على التوالي:

Roland Inglehart, *The Silent Revolution: Changing Values and Political Styles among Western Publics* (Princeton: Princeton University Press, 1977); Piero Ignazi, "The Silent Counter-Revolution. Hypotheses on the Emergence of Extreme Right-Wing Parties in Europe," *European Journal of Political Research*, vol. 22, no. 1-2 (1992), pp. 3-34.

88 Robert Dahl, "A Democratic Paradox," *Political Science Quarterly*, vol. 115, no. 1 (2000), p. 38.

89 Ibid;

ينظر أيضاً:

John R. Hibbing & Elizabeth Theiss-Morse, *Stealth Democracy. Americans' Beliefs About How Government Should Work* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

لقد لاحظ كثير من المراقبين أن الشعبوية كامنة في صميم الديمقراطية التمثيلية؛ وليس الشعبويون، في نهاية المطاف، هم الذين يضعون "الشعب الخير" في مواجهة "النخبة الفاسدة"؟⁽¹⁰⁰⁾ لكنني، كما بينت سابقاً، أختلف مع هذا الرأي، وأرى أن الجماهير الشعبوية والنخب الشعبوية، على حد سواء، يؤمنون بالتمثيل "الحقيقي". بعبارة أخرى؛ إنهم لا يرفضون التمثيل من ناحية مبدئية، ولا يعترضون على عوز التمثيل الاجتماعي، وإنما يرفضون أن تمثلهم "نخبة غريبة" لا تعكس سياساتها ورغباتهم ومخاوفهم⁽¹⁰¹⁾.

تصوّر النخب، في المخيال الشعبوي، بوصفها أدوات طيبة لخدمة "المصالح الخاصة". وتاريخياً، تمثلت هذه القوى النافذة والخفية في المصرفيين ورجال المال الدوليين (الذين يُزعم في أحيان كثيرة أنهم يهود). غير أن الشعبوية المعاصرة تحدد "طبقة جديدة" بدلاً من ذلك، هي طبقة "التقدميين" وأنصار "الصواب السياسي". وقد نشأت "نظرية الطبقة الجديدة" هذه داخل أوساط المحافظين الجدد في أميركا الشمالية خلال ثمانينيات القرن العشرين⁽¹⁰²⁾. ثم أخذ شعبويون من اتجاهات أيديولوجية مختلفة، خلال العقود التالية، يهاجمون ما يعدونه دكتاتورية التقدميين، أو "كنيسة اليسار" بلغة فورتاين.

إن الشعبوية، بدلاً من أن تكون معاديةً للديمقراطية التمثيلية، هي في جوهرها معادية لفكرة الديمقراطية الليبرالية ومؤسساتها، أو ما يُعرف بالديمقراطية الدستورية⁽¹⁰³⁾. فالشعبوية تمثل أحد أشكال ما رُوج له مؤخراً فريد زكريا⁽¹⁰⁴⁾ تحت مسمى "الديمقراطية اللابليبرالية"، والتي يمكن تسميتها أيضاً بالتطرف الديمقراطي Democratic Extremism؛ إذ على الرغم من كل بلاغة الديمقراطية وخطاباتها، فإن الديمقراطية الليبرالية تقوم على تسوية معقدة بين ديمقراطية شعبية ونخبوية ليبرالية، مما يجعلها ديمقراطية جزئية.

100 للمقارنة، ينظر:

Yves Mény & Yves Surel, *Par le peuple, pour le peuple: Le populisme et les démocraties* (Paris: Fayard, 2000); Taggart, *Populism*; Urbinati, pp. 110–124.

101 للاطلاع على عرض تفصيلي وفلسفي أكثر بشأن مدى توافق الشعبوية مع الديمقراطية التمثيلية، ينظر:

Benjamin Arditi, "Populism as a Spectre of Democracy: A Response to Canovan," *Political Studies*, vol. 52 no. 1 (2004), pp. 135–143.

102 عن أصول "نظرية الطبقة الجديدة" وتأويلاتها الشعبوية المعاصرة، ينظر:

Barry Hindess & Marian Sawer (eds.), *Us and Them: Anti-Elitism in Australia* (Bentley: API Network, 2004).

103 للمقارنة، ينظر:

Tjitske Akkerman, "Populism and Democracy," *Acta Politica*, vol. 38, no. 2 (2003), pp. 147–159; Mény & Surel, "The Constitutive Ambiguity of Populism," pp. 1–21.

104 Fareed Zakaria, *The Future of Freedom: Illiberal Democracy at Home and Abroad* (New York: W. W. Norton, 2003).

ومن التصورات الخاطئة الأخرى أنّ ناخبي الأحزاب الشعبوية يرفضون الإستبليشمنت The Establishment⁽⁹⁴⁾ لأنهم "مختلفون" عنها. فالشعبوية لا تتعلق بالطبقات، ربما باستثناء رفض "الطبقة السياسية"⁽⁹⁵⁾، ولا تتعلق بالتمثيل الاجتماعي أو بالديمقراطية التشاركية المتكافئة. إنّ أنصار الأحزاب الشعبوية لا يريدون أن يحكمهم "الرجل في الشارع" بالمعنى السوسيوديموغرافي. ويكفي النظر إلى الشخصيات البارزة التي تقود معظم هذه الحركات؛ إذ يصعب القول إن بيم فورتاين، مثلاً، كان مواطناً هولندياً عادياً!⁽⁹⁶⁾ ما يريده داعمو الأحزاب الشعبوية هو أن تُحلّ مشكلات "الناس العاديين" وفقاً لقيمهم الخاصة (التي يُشار إليها غالباً بـ"الحسّ السليم المشترك")، وهم يقبلون أن يتولى ذلك زعيمٌ استثنائي؛ أو كما عبّر عن ذلك بول تاغارت، حين أشار إلى أن الشعبوية "تطلب الأفراد الأكثر استثنائيةً لقيادة الناس الأكثر عادية"⁽⁹⁷⁾. وهذا الطابع الاستثنائي في زعيم بعض الحركات الشعبوية، وليس كلها، هو ما تؤدّي فيه الزعامة الكاريزمية دوراً⁽⁹⁸⁾.

ومما يشدّ الاهتمام أن الزعيم الشعبوي ليس بالضرورة قادماً من خارج السياسة بحق؛ فأشخاص، أمثال برلسكوني أو فورتاين أو هايدر، كانوا - حتى قبل بداية مسيرتهم السياسية - على صلات وثيقة ببعض الدوائر في النخب الاقتصادية والسياسية، من دون أن يكونوا جزءاً أصيلاً منها. ولذلك، فبدلاً من وصفهم بأنهم يمثلون "نخبة مضادة"⁽⁹⁹⁾، وهو ما يُعدّ أكثر انسجاماً مع النموذج الشعبوي الكلاسيكي، يمكن وصفهم بدقة أكبر بأنهم "نخب قادمة من خارج السياسة"؛ فهم على صلة وثيقة بالنخب، لكنهم ليسوا جزءاً منها.

94 بات هذا المصطلح، خلال السنوات الأخيرة، يُعرّب في دراسات الشعبوية بالإستبليشمنت بدلاً من المؤسسة الحاكمة/ القائمة أو النظام الحاكم/ القائم؛ فهو لا يشمل النخبة السياسية الحاكمة فحسب، بل يشمل أيضاً النخب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المنضوية إليه. إنه أضيق من دلالة لفظ المؤسسة القائمة بذاتها، وأوسع من الدلالة على مؤسسة سياسية حاكمة فحسب؛ فهو يشمل مجمل "المنظومة" التي يُنتجها المخيال الشعبوي وينصبها في مقابل "الشعب". (المترجم)

95 von Beyme, "The Concept of Political Class," pp. 68–87; Schedler, "Anti-Political-Establishment Parties," pp. 291–312.

96 ثمة أمثلة تاريخية عديدة عن زعماء شعبيين قَدِموا من أوساط اجتماعية مغايرة تماماً لتلك التي زعموا قيادتها. ولعل المثال الأبرز على ذلك حركة نارودنيك Narodniki، التي ضمت مثقفين حضريين شباباً دافعوا عن فاضل الفلاحين الروس. ينظر:

Andrzej Walicki, "Eastern Europe," in: Ionescu & Gellner, pp. 62–96.

97 Taggart, *Populism*, p. 1.

98 ينظر:

Sandra Seubert, "Paradoxien des Charisma. Max Weber und die Politik des Vertrauens," *Zeitschrift für Politikwissenschaft*, vol. 12, no. 3 (2002), pp. 1123–1148; Ron van Dooren, *Messengers from the Promised Land. An Interactive Theory of Charisma* (Leiden: DSWO-Press, 1994).

99 C. Wright Mills, *The Power Elite* (New York: Oxford University Press, 1957).

خاتمة

كان الهدف من هذه الدراسة تقديم مساهمة من ثلاثة أوجه في النقاش الدائر بشأن الشعبية في الديمقراطيات الليبرالية. أولاً، صوغ تعريف واضح وأصيل للشعبوية يمكن توظيفه، أيضاً، في الأبحاث الإمبريقية. وقد عرّفتُ الشعبوية بأنها أيديولوجيا ترى أن المجتمع منقسم، في جوهره، إلى مجموعتين متجانستين ومتعارضتين: "الشعب الخَيْر" ضد "النخبة الفاسدة"، وتجادل بأن السياسة ينبغي أن تكون تعبيراً عن الإرادة العامة للشعب.

ثانياً، نافحت عن رفض أطروحة "المرض الطبيعي"، وبيّنتُ أن الخطاب الشعبي أصبح جزءاً من التيار السائد في السياسة في الديمقراطيات الغربية المعاصرة. وقد أطلقتُ على ذلك روح العصر الشعبوية. صحيح أن معظم أحزاب التيار السائد تكتفي أساساً بتبني خطابة شعبية، غير أن بعضها يدعو أيضاً إلى مراجعات ذات طابع شعوي في النظام الديمقراطي الليبرالي، لا سيما من خلال اعتماد أدوات استفتائية.

ثالثاً، حاججتُ بأن التفسيرات المطروحة لروح العصر الشعبوية الحالية، وكذلك الاستجابات لها، تعاني اختلالات جوهرية؛ إذ إن كثيراً من الحلول المقترحة مؤخراً استلهم من النقد الشعبي الذي طرحه اليسار الجديد في سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، وهو نقدٌ يختلف اختلافاً جذرياً (من ناحية العرض والطلب) عن الشعبوية التي برزت منذ تسعينيات القرن العشرين. فخلافاً للمرحلة السابقة، يفضّل الشعبويون المعاصرون التركيز على المخرجات بدلاً من المدخلات، وعلى الزعامة بدلاً من المشاركة. ومن ثم، فإن هذه الاستجابات ليست قاصرة فحسب، بل قد تصبح ذات أثر عكسي؛ أي إنها قد تعزز التحدي الشعبي بدلاً من أن تضعفه.

إذاً، أقدرُ على السياسة في الديمقراطيات الليبرالية أن تظل شعبية إلى الأبد؟ القول إن الديمقراطية الليبرالية لا تخلو من توترات بنيوية يمكن أن يستثمرها الشعبويون لا يكاد يصحُّ إلا بصعوبة شديدة. لكن الشعبوية أيضاً ظاهرة دورية⁽¹⁰⁹⁾؛ لا على مستوى الحركات الشعبية فرادى، بل على مستوى ديناميتها كلها. فحين تكتسب مجموعات شعبية من خارج التيار السائد، وتجاهر بشعبويتها، مكانةً بارزة، فإن أجزاءً من الإستبليشمنت تميل إلى الاستجابة لها باستراتيجية مزدوجة مبنية على الإقصاء والاحتواء

وكما حاجتُ مارغريت كانوفان بحصافة، تمثل الشعبوية نقداً لاذعاً للقيود الديمقراطية الكامنة في الديمقراطيات الليبرالية⁽¹⁰⁵⁾. وترفض الشعبوية، في تأويلها المتطرف لديمقراطية الأغلبية، جميع القيود المفروضة على التعبير عن الإرادة العامة، لا سيما حماية الأقليات دستورياً، واستقلالية المؤسسات الرئسية في الدولة (عن السياسة، ومن ثم عن الرقابة الديمقراطية)، مثل القضاء والبنك المركزي⁽¹⁰⁶⁾.

تستمد الشعبوية قوتها، إلى حد بعيد، من الوعود الديمقراطية التي تطلقها النخب السياسية، والتي لا تخلو من ارتباك، ومن انتهازية في الغالب. ففي عصرنا عصر النزعة المساواتية، يبدو الدفاع عن الجوانب النخبوية في الديمقراطية الليبرالية أشبه بانتحار سياسي. ونتيجةً لذلك، يركز السياسيون، من اليمين واليسار والوسط على حد سواء، وعلى نحو يكاد يكون حصرياً، على إبراز أهمية الجوانب الشعبية، أي البعد الديمقراطي. ومن الأمثلة النموذجية الدالة على ذلك النقاشات بشأن (ما يُزعم أنه) "الفجوة بين المواطن والسياسة" (ولنلاحظ هنا التصنيفات المتجانسة)، أو "العجز الديمقراطي" في الاتحاد الأوروبي.

في معظم البلدان، بدأت هذه النقاشات داخل أوساط النخب السياسية، من دون مؤشرات تُذكر تدلُّ على أن الجماهير كانت معنية بها بدرجة كبيرة. لكن عدداً متزايداً من الناس، بعد سنوات من القراءة والاستماع عن أعطال الديمقراطيات الوطنية وما فوق الوطنية⁽¹⁰⁷⁾، أصبح أشد حساسية للمشكلة، وبات أشد قناعةً بأن الأمور يمكن أن تكون أفضل وأنها ينبغي أن تكون كذلك. غير أن السؤال هو: هل يمكن أن تكون "أفضل" (أي أكثر ديمقراطية) ضمن إطار الديمقراطية الليبرالية؟ فما إن تُطرح مطالب أكثر راديكالية حتى يأتي رد السياسيين غالباً في التيار السائد بأنها غير قابلة للتنفيذ بسبب القيود الدستورية أو الالتزامات الدولية. وهكذا، تتشكل "حلقة" مفرغة، لا يمكن كسرها إلا بخيار من اثنين: إما الاستجابة للشعبيين وإنشاء نظام ديمقراطي أكثر شعبية (وأقل ليبرالية!)، وإما مقاومتهم، مع الاستمرار في شرح القيود الديمقراطية في النظام الديمقراطي الليبرالي والمنافحة عنها⁽¹⁰⁸⁾.

105 Margaret Canovan, "Trust the People! Populism and the Two Faces of Democracy," *Political Studies*, vol. 47, no. 1 (1999), pp. 2-16.

106 للاطلاع على تجليات الشعبوية في الممارسة العملية، ينظر:

Michael Braun, "Populismus an der Macht. Das Phänomen Berlusconi," *Internationale Politik und Gesellschaft*, vol. 3 (2003), pp. 110-133.

107 يقصد الديمقراطية في الكيانات/ المؤسسات ما فوق الدولة، ونموذجها الاتحاد الأوروبي. (المترجم)

108 ليس المقصود هنا مجرد الدفاع عن القيود الديمقراطية بمعنى تقييد الديمقراطية، بل الدفاع عن العناصر الليبرالية التي تضع قيوداً على إرادة الأغلبية، مثل الفصل بين السلطات،

واستقلالية القضاء، وسيادة القانون، وتأمين حقوق الأقليات وغير ذلك. (المترجم)

المراجع

- Abedi, Amir. *Anti-Political Establishment Parties*. London: Routledge, 2004.
- Akkerman, Tjitske. "Populism and Democracy." *Acta Politica*. vol. 38, no. 2 (2003).
- Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origins and Spread of Nationalism*. London: Verso, 1983.
- Anstadt, Milo. "Vrijheid der onvolwassenen." *De Groene Amsterdammer*. vol. 126, no. 49 (2002).
- Arditi, Benjamín. "Populism as a Spectre of Democracy: A Response to Canovan." *Political Studies*. vol. 52, no. 1 (2004).
- Axford, Barrie & Richard Huggins. "Anti-Politics or the Triumph of Postmodern Populism in Promotional Cultures." *Telematics and Informatics*. vol. 15, no. 3 (1998).
- B. Judis, John & Ruy Teixeira. *The Emerging Democratic Majority*. New York: Scribner, 2002.
- Bergsdorf, Harald. "Rhetorik des Populismus am Beispiel rechtsextremer und rechtspopulistischer Parteien wie der 'Republikaner', der FPÖ und des 'Front National'." *Zeitschrift für Parlamentsfragen*. vol. 31, no. 3 (2000).
- Betz, Hans-Georg. *Radical Right-Wing Populism in Western Europe*. Basingstoke: Macmillan, 1994.
- Betz, Hans-Georg & Stefan Immerfall (eds.). *The New Politics of the Right: Neo-Populist Parties and Movements in Established Democracies*. New York: St Martin's Press, 1998.
- Bimes, Terri. "Ronald Reagan and the New Conservative Populism." Paper Presented at the Annual APSA Meeting. Boston. 29/8-1/9/2002.
- Blyth, Mark. "Globalization and the Limits of Democratic Choice. Social Democracy and the Rise of

معًا. فبينما تسعى إلى إبعاد الفاعل أو الفاعلين الشعبويين عن مواقع السلطة، فإنها تعتمد في الوقت نفسه إلى تضمين موضوعات وخطابات شعبية في محاولة لاحتواء التحدي. وهذه الدينامية من شأنها أن تفضي إلى نشوء "روح شعبية للعصر"، على غرار تلك التي تواجهنا اليوم، والتي سرعان ما تخبو كلما بدا أن التحدي الشعبي قد بلغ ذروته وانحسر.

مع ذلك، وبالنظر إلى التحولات البنيوية، وما ينجم عنها من انتقال نسبي من السلطة القانونية إلى السلطة الكاريزمية، فضلًا عن نزع الهالة عن السياسة في الديمقراطيات الليبرالية الغربية، ستغدو الشعبية سمّةً معتادة أكثر فأكثر في السياسة الديمقراطية مستقبلاً؛ تطفو إلى السطح كلما شعرت قطاعات مهمة من "الأغلبية الصامتة" بأن "النخبة" ما عادت تمثلها.

- David Barney, Darin & David Laylock. "Right-Populists and Plebiscitary Politics in Canada." *Party Politics*. vol. 5, no. 3 (1999).
- Decker, Frank. *Parteien unter Druck. Der neue Rechtspopulismus in den westlichen Demokratien*. Opladen: Westdeutscher, 2000.
- _____. "Konjunkturen des Populismus, 'Blätter'-Gespräch mit Frank Decker." *Blätter für deutsche und internationale Politik*. vol. 10 (2002).
- E. Ritterband, Charles. "Kärntner Chamäleon. Jörg Haiders Aufund Abstieg in Österreich." *Internationale Politik*. vol. 4 (2003).
- Eatwell, Roger. "The Rebirth of Right-Wing Charisma? The Cases of Jean-Marie Le Pen and Vladimir Zhirinovskiy." *Totalitarian Movements and Political Religions*. vol. 3, no. 3 (2002).
- Ehrke, Michael. *Rechtspopulismus in Europa: die Meuterei der Besitzstandswahrer*. Bonn: FES Library, 2002.
- Elster, Jon, *Deliberative Democracy*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- F. Ridley, F. & Alan Doig (eds.). *Sleaze: Politicians, Private Interests & Public Reaction*. Oxford: Oxford University Press, 1995.
- Freeden, Michael. "Is Nationalism a Distinct Ideology?" *Political Studies*. vol. 46, no. 4 (1998).
- Funke, Hajo & Lars Rensmann. "Wir sind so frei. Zum rechtspopulistischen Kurswechsel der FDP." *Blätter für deutsche und internationale Politik*. vol. 7 (2002).
- Gerring, John. *Party Ideologies in America, 1828-1996*. Cambridge: Cambridge University Press, 1998.
- H. Merkl, Peter (ed.). *Western European Party Systems*. New York: Free Press, 1980.
- Hassenteufel, Patrick. "Structures de représentation et 'appel au peuple', Le populisme en Autriche." *Politix*. vol. 14, no. 2 (1991).
- Political Cartelization." *Internationale Politik und Gesellschaft*. vol. 3 (2003).
- Bonefeld, Werner & Sergio Tischler (eds.). *What is to Be Done? Leninism, Anti-Leninist Marxism and the Question of Revolution Today*. Aldershot: Ashgate, 2002.
- Bowler, Shaun et al. "Populist Parties and Support for Direct Democracy." Paper Presented at the Australasian Political Studies Association Conference. Hobart, Tasmania. 29/9-1/10/2003.
- Braun, Michael. "Populismus an der Macht. Das Phänomen Berlusconi." *Internationale Politik und Gesellschaft*. vol. 3 (2003).
- Budge, Ian. *The New Challenge of Direct Democracy*. Cambridge: Polity, 1996.
- C. Schmitter, Philippe. "The Future of Democracy: Could It Be a Matter of Scale?" *Social Research*. vol. 66, no. 3 (1999).
- Canovan, Margaret. *Populism*. London: Junction, 1981.
- _____. "Trust the People! Populism and the Two Faces of Democracy." *Political Studies*. vol. 47, no. 1 (1999).
- Cuperus, René. "The Populist Deficiency of European Social Democracy." *Internationale Politik und Gesellschaft*. vol. 3 (2003).
- D. Wells, Scott et al. "Al Gore and Election 2000: Populist Discourse and Strategies." Paper Presented at the Annual APSA Meeting. Boston. 29/8-1/9/2002.
- Daalder, Hans. "A Crisis of Party?" *Scandinavian Political Studies*, vol. 15, no. 4 (1992).
- Dahl, Robert. "A Democratic Paradox." *Political Science Quarterly*. vol. 115, no. 1 (2000).
- Dahrendorf, Ralf. "Acht Anmerkungen zum Populismus." *Transit: Europäische Revue*. vol. 25 (2003).

- Industriegesellschaften." *Hamburger Jahrbuch für Wirtschafts und Sozialpolitik*. vol. 12 (1967).
- Kazin, Michael. *The Populist Persuasion: An American History*. New York: Basic Books, 1995.
- Kitschelt, Herbert (In Collaboration with Anthony McGann). *The Radical Right in Western Europe. A Comparative Analysis*. Ann Arbor: University of Michigan Press, 1995.
- Krieger, Joel (ed.). *The Oxford Companion to Politics of the World*. Oxford: Oxford University Press, 1993.
- Laclau, Ernesto. *Politics and Ideology in Marxist Theory: Capitalism-Fascism-Populism*. London: New Left Books, 1977.
- LeDuc, Lawrence et al. (eds.). *Comparing Democracies: Elections and Voting in Global Perspective*. Thousand Oaks: Sage, 1996.
- Lijphart, Arend. *The Politics of Accommodation: Pluralism and Democracy in the Netherlands*. Berkeley: University of California Press, 1968.
- Mair, Peter. "Partyless Democracy and the 'Paradox' of New Labour." *New Left Review*. vol. 2 (2000).
- Mazzoleni, Gianpietro et al. (eds.). *The Media and Neo-Populism: A Contemporary Comparative Analysis*. Westport, VA: Praeger, 2003.
- Mény, Yves & Yves Surel. *Par le peuple, pour le peuple: Le populisme et les démocraties*. Paris: Fayard, 2000.
- _____. (eds.). *Democracies and the Populist Challenge*. Basingstoke: Palgrave, 2002.
- Michael Jungwirth (ed.). *Haider, Le Pen & Co.: Europas Rechtspopulisten*. Graz: Styria, 2002.
- Mills, C. Wright. *The Power Elite*. New York: Oxford University Press, 1957.
- Mudde, Cas. "The Paradox of the Anti-Party Party: Insights from the Extreme Right." *Party Politics*. vol. 2, no. 2 (1996).
- Heinisch, Reinhard. "Success in Opposition – Failure in Government: Explaining the Performance of Right-Wing Populist Parties in Public Office." *West European Politics*. vol. 26, no. 3 (2003).
- Held, Joseph (ed.). *Populism in Eastern Europe. Racism, Nationalism, and Society*. Boulder, CO: East European Monographs, 1996.
- Helms, Ludger. "Die 'Kartellparteien'-These und ihre Kritiker." *Politische Vierteljahresschrift*. vol. 42, no. 4 (2001).
- Heywood, Paul et al. (eds.). *Developments in West European Politics 2*. Basingstoke: Palgrave, 2002.
- Hindess, Barry & Marian Sawer (eds.). *Us and Them: Anti-Elitism in Australia*. Bentley: API Network, 2004.
- Ignazi, Piero. "The Silent Counter-Revolution. Hypotheses on the Emergence of Extreme Right-Wing Parties in Europe." *European Journal of Political Research*. vol. 22, no. 1–2 (1992).
- Inglehart, Roland. *The Silent Revolution: Changing Values and Political Styles among Western Publics*. Princeton: Princeton University Press, 1977.
- Ionescu, Ghita & Ernest Gellner (eds.). *Populism: Its Meanings and National Characteristics*. London: Weidenfeld; Nicolson, 1969.
- J. Dalton, Russell. *Citizen Politics: Public Opinion and Political Parties in Advanced Industrial Democracies*. Chatham: Chatham House, 1996.
- J. Dalton, Russell et al. (eds.). *Electoral Change in Advanced Industrial Democracies*. Princeton: Princeton University Press, 1994.
- J. Pharr, Susan & Robert D. Putnam (eds.). *Disaffected Democracies. What's Troubling the Trilateral Democracies*. Princeton: Princeton University Press, 2000.
- K. Scheuch, Erwin & Hans-Dieter Klingemann. "Theorie des Rechtsradikalismus in westlichen

- Emergence of the Cartel Party," *Party Politics*. vol. 1, no. 1 (1995).
- Scarrow, Susan & Thomas Poguntke (eds.). *European Journal of Political Research*. vol. 29, no. 3. Special Issue on anti-Party Sentiments (1996).
- Scarrow, Suzan E. "Democracy within - and without - Parties: Introduction." *Party Politics*. vol. 5, no. 3 (1999).
- _____. "Parties and the Expansion of Direct Democracy: Who Benefits?" *Party Politics*. vol. 5, no. 3 (1999).
- Schedler, Andreas. "Anti-Political-Establishment Parties." *Party Politics*. vol. 2, no. 3 (1996).
- Seubert, Sandra. "Paradoxien des Charisma. Max Weber und die Politik des Vertrauens." *Zeitschrift für Politikwissenschaft*. vol. 12, no. 3 (2002).
- Seyd, Patrick. "New Parties/New Politics? A Case Study of the British Labour Party." *Party Politics*. vol. 5, no. 3 (1999).
- Statham, Paul. "Berlusconi, the Media, and the New Right in Italy." *Press/Politics*. vol. 1, no. 1 (1996).
- Taggart, Paul. *The New Populism and the New Politics: New Protest Parties in Sweden in a Comparative Perspective*. Basingstoke: Macmillan, 1996.
- _____. *Populism*. Buckingham: Open University Press, 2000.
- Taguieff, Pierre-André. *L'illusion populiste*. Paris: Berg International, 2002.
- Urbinati, Nadia. "Democracy and Populism." *Constellations*. vol. 5, no. 1 (1998).
- van Dooren, Ron. *Messengers from the Promised Land. An Interactive Theory of Charisma*. Leiden: DSWO-Press, 1994.
- _____. *The Ideology of the Extreme Right*. Manchester: Manchester University Press, 2000.
- _____. "In Name of the Peasantry, the Proletariat, and the People: Populisms in Eastern Europe." *East European Politics and Societies*. vol. 15, no. 1 (2001).
- N. Cappella, Joseph & Kathleen Hall Jamieson. *Spiral of Cynicism. The Press and the Public Good*. New York: Oxford University Press, 1997.
- N. Hague, Barry & Brian D. Loader (eds.). *Digital Democracy: Discourse and Decision Making in the Information Age*. London: Routledge, 1999.
- Norris, Pippa (ed.). *Critical Citizens. Global Support for Democratic Governance*. Oxford: Oxford University Press, 1999.
- Pedahzur, Ami & Avraham Brichta. "The Institutionalization of Extreme Right-Wing Charismatic Parties." *Party Politics*. vol. 8, no. 1 (2002).
- Pelinka, Anton (ed.). *Populismus in Österreich*. Vienna: Junius, 1987.
- Pennings, Paul & Reuven Y. Hazan (eds.). *Party Politics*. vol. 7, no. 3. Special Issue (2001).
- Pfahl-Traughber, Armin. *Volkes Stimme? Rechtspopulismus in Europa*. Bonn: Dietz, 1994.
- Probst, Lothar. "Die Erzeugung 'vorwärtsgerichteter Unruhe', Überlegungen zum Charisma von Jörg Haider." *Vorgänge*. vol. 41, no. 4 (2002).
- R. Hibbing, John & Elizabeth Theiss-Morse. *Stealth Democracy. Americans' Beliefs About How Government Should Work*. Cambridge: Cambridge University Press, 2002.
- S. Di Tella, Torcuato. "Populism into the Twenty-First Century." *Government and Opposition*. vol. 32, no. 2 (1997).
- S. Katz, Richard & Peter Mair. "Changing Models of Party Organization and Party Democracy: The

- van Kersbergen, Kees. "Is Nederland een democratie?"
De Helling. vol. 15, no. 3 (2002).
- van Niekerk, A. E. *Populisme en Politieke Ontwikkeling in Latijns-Amerika*. Rotterdam: Universitaire Pers Rotterdam, 1972.
- von Beyme, Klaus. "Party Leadership and Change in Party Systems: Towards a Postmodern Party State?"
Government and Opposition. vol. 31, no. 2 (1996).
- _____. "The Concept of Political Class: A New Dimension of Research on Elites?" *West European Politics*. vol. 19, no. 1 (1996).
- Weber, Max. *Politik als Beruf*. 8th ed. Berlin: Duncker; Humblot, 1987.
- Weyland, Kurt. "Clarifying a Contested Concept: Populism in the Study of Latin American Politics." *Comparative Politics*. vol. 34, no. 1 (2001).
- Zakaria, Fareed. *The Future of Freedom: Illiberal Democracy at Home and Abroad*. New York: W.W. Norton, 2003.